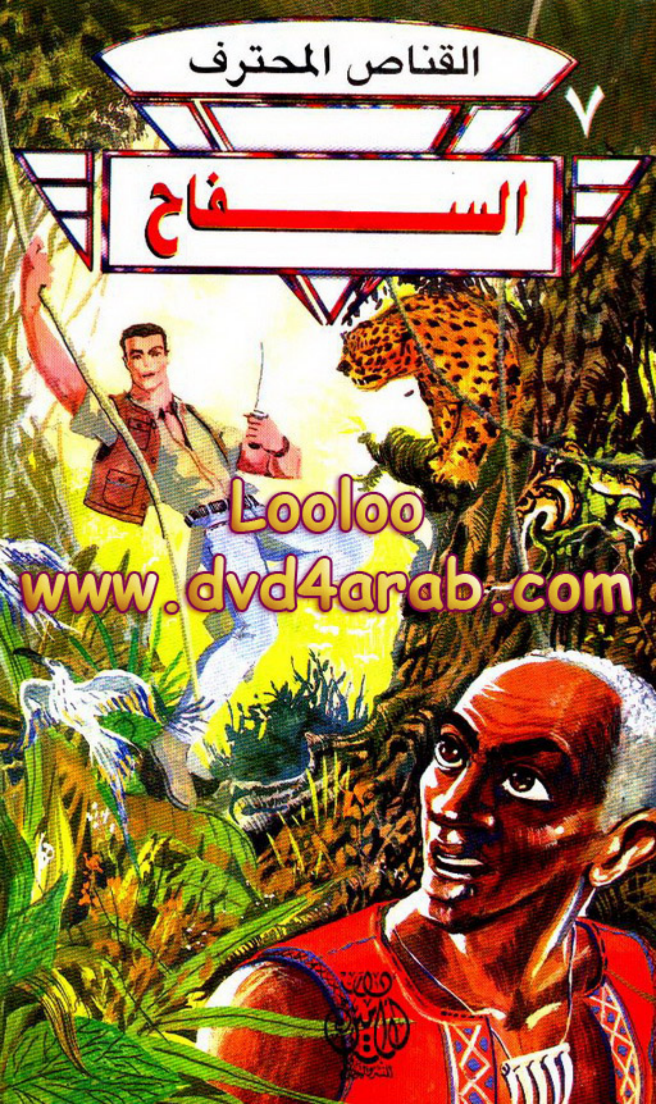


القناص المحترف
٧
السفاح

أجازة خطرة

أخذت الطائرة الصغيرة دورة كاملة فوق قمم الأشجار ورءوسها وهي تستعد للهبوط فوق الممر الطويل الذي شق الغابات والأشجار في تلك الدولة الأفريقية ، الواقعة في قلب القارة السوداء .

كان المشهد من نافذة الطائرة بديعاً ، وقد بدت قمم الأشجار بأسفل الطائرة ، مثل بحر من اللون الأخضر الجميل ، وقد ظهرت أعداد من الحيوانات تمرح هنا وهناك ، أو تفر هاربة وقد أزعجها صوت محرك الطائرة التي توشك على الهبوط ، ولم يمنع

تلك الحيوانات من الاندفاع إلى ممرات المطار ، عبر أسوار حديدية شائكة ، مُدّت حول أطراف المطار ، لمنعها من اقتحام ممرات الهبوط ، والتسبب في حوادث غير متوقعة .

وكان الهبوط سيئاً .. بسبب رداءة ممر الهبوط الذي ظهر خشناً متشققاً .. وقد أقيمت نقاط للجوازات والتفتيش لم تكن أكثر من أكواخ خشبية بدائية مُدت أمامها مناضد يعمل إلى جوارها عدد من الضباط المحليين في نشاط يُحسدون عليه بسبب الجو الحار المشبع بالرطوبة .. وقد راح عدد من القرود والنسانيس يقفزون هنا وهناك بعد اجتيازهم أسوار الأسلاك الشائكة ، عبر قمم الأشجار ، وقد راحوا ينظرون لركاب الطائرة في تمعُن بعيون واسعة ، غير عابئين بعدد من رجال الجيش والشرطة المسلحين بالبنادق والقنابل اليدوية ، الذين وقفوا في تأهب ، وكأنهم يخشون خطر ما قد ينقض على المطار بمن فيه في لحظة خاطفة ، وقد ظهر خلفهم عدد من سيارات الجيب والمدرعات المليئة بالجنود .

كانت الأجازة الأولى التي يقضيها (القناص) في تلك الدولة الأفريقية الفتية ، وقد زار العديد من الدول حولها .. في مهام خاصة .

ولكنها كانت المرة الأولى التي يأتي فيها إلى مثل ذلك المكان البكر لينعم بأجازة وسط الطبيعة الخلابة ، أو هكذا كان يقول جواز سفره الذي يحمله .. بصفته رجل أعمال يقضي أجازة قصيرة .

وقطع أفكاره صوت ضابط الجوازات الذي راح يجفف عرقه بمنديل كبير وهو يقول بلغة إنجليزية متآكلة : هل لديك ممنوعات داخل حقائبك ياسيدي ؟

أجابه القناص باسماً : لم أجلب معي غير النوايا الحسنة في قضاء أجازة سعيدة في بلادكم .. ولست أظن أنها من الممنوعات . و..

وبتر القناص عبارته فجأة عندما دوت أصوات رصاص مباغتة على مقربة .. وبدافع غريزى ألقى بنفسه على الأرض محتمياً خلف المائدة الخشبية العريضة وقد اطلق بصره نحو المكان الذي جاء منه دوي الرصاص ، وقد تأهبت كل خلاياه للعمل في نفس اللحظة .

وفعل الواقفون نفس الشيء ، فألقوا بأنفسهم على الأرض في هلع وتعالت صرخاتهم .. في حين اطلقت القرود صرخات أعلى وانطلقت هاربة لاتلوى على شيء .

واندفع رجال الشرطة والجيش نحو مكان اطلاق الرصاص وهم يطلقون الصرخات والصيحات ، ودوت أصوات الرصاص من بنادقهم .. وانفجارات القنابل اليدوية .. واستمر التراشق لحظات قليلة .. وبعدها ساد صمت ثقيل طويل .. وكان من الواضح أن من اطلق الرصاص قد فر هارباً أمام مطارديه .. وقال ضابط الجوازات وهو ينفض التراب عن ملابسه بوجه شاحب لركاب الطائرة : لاتخشوا شيئاً .. فالموقف تحت السيطرة ، فإنهم بعض أعوان امبراطور البلاد السابق الهاربين وسط الغابات .. وكثيراً مايحاولون السيطرة على المطار بهجوم مفاجىء .. ولكننا نردهم دائماً على أعقابهم .

ومد ضابط الجوازات يده مصافحاً القناص وهو يقول له في اعتذار : أتمنى لك أجازة سعيدة ياسيدي .

فغمغم القناص مقطباً : إنه أمر مشكوك فيه الآن ، بعد ذلك الاستقبال الحافل غير المتوقع .

وأضاف كأنما يحدث نفسه : مامن مكان أصل إليه .. إلاوترتفع فيه أصوات طلقات الرصاص وانفجارات القنابل في سيمفونية مفاجئة !

فقال الضابط وقد عاد لمواصلة تجفيف عرقه :

أنت تعلم ياسيدي أن بلادنا كانت حتى وقت قريب ماتحت حُكم الامبراطور (بوساكا) الذي نهب خيرات البلاد من الماس والنحاس واليورانيوم وباعها لحسابه في الوقت الذي يتضور فيه شعبنا جوعاً ، وقد كان رجلاً دموياً متوحشاً .. أزهق أرواح الملايين من شعبنا بسبب أهوائه الخاصة .. وكان يبيد قرى ومدن بأكملها إذا مااعترض أحد سكانها على قرار ديكتاتوري له .. وبسبب ذلك حدثت ثورة شعبية ضده ولكنه نجح في الهرب مع بعض أعوانه من المرتزقة إلى داخل الغابات واحتموا بها .. وهم يخططون للعودة إلى الحكم مرة أخرى ، وهو مايجعلنا متأهبين دائماً لأي هجوم غادر من جانبهم .

أومأ مراد برأسه في صمت وبعض الحزن .. كانت أفريقيا قارة منكوبة حقاً .. فما كادت تتخلص من الاستعمار وبيع رجالها وشبابها كعبيد ، حتى استولى على الحكم فيها أباطرة من عينة (بوساكا) ، ذلك المجرم الذي سمع وقرأ القناص الكثير عن فظائعه ، حتى قيل إنه جعل تعداد شعبه ينخفض إلى النصف .. بعد أن قتل الباقين أو دفعهم للهرب إلى الدول المجاورة في محاولة يائسة للنجاة بحياتهم .. فكانت نهايتهم جوعاً أو عطشاً .. أو بين أنواع الحيوانات المفترسة .

واستقل القناص سيارة تاكسى حتى باب الفندق الواقع على مشارف الغابات الواسعة .. فأخذ يتأمل المشهد البديع أمامه وتوقفت عيناه على رجال الشرطة الذين وقفوا لحراسة الفندق ، وغمغم لنفسه قائلاً : إن بعض أنواع البشر أشد خطورة من حيوانات الغابة المفترسة .

ولكن ما كان شيء ليمنع (مراد) من التمتع بأجازته .. وهكذا حصل على حمام بارد وبدل ملابسه سريعاً ، واتجه إلى موظف الاستعلامات في الفندق قائلاً : أرجو أن ترشدني إلى دليل يقودني في رحلة داخل الغابات المفتوحة لمدة يوم أو اثنين لمشاهدة الحيوانات في أماكنها الطبيعية .

فاتسعت عينا الموظف وهو يقول في دهشة واستنكار : رحلة داخل الغابات المفتوحة .. إن أحداً لم يعد يجرؤ على القيام بمثل تلك الرحلة بعد أن قام (بوساكا) ورجاله بـ..

قاطعه القناص قائلاً : لقد مللت سماع اسم ذلك الوغد (بوساكا) .. فأينما أذهب يصاب الجميع بالهلع لمجرد ذكر اسمه .. ولست مستعداً لإفساد رحلتى لمجرد أن امبراطوراً هارباً يقيم في الغابات مع بعض

رجاله الأوغاد ، والجميع يخشونه وكأنه وباء .

وزادت ابتسامته اتساعاً وهو يضيف : ولسوء الحظ فإننى لست ممن ينصاعون للنصيحة .. بل لعلنى على العكس مغرم باقتحام الأخطار .. وحلمت دائماً بمقابلة أحد الأباطرة قبل أن يختفوا عن العالم مثل الديناصورات المنقرضة ، فلا تجعلنى أفقد هذه الفرصة الأخيرة !

فحملق الموظف في (مراد) بعينين واسعتين عن آخرهما .. وابتلع لعابه محاولاً إخفاء اضطرابه وهو يجفف عرقه قائلاً : حسناً ياسيدي .. سوف تجد مقهى خاص على مقربة من الفندق يرتاده مرشدى السياح داخل الغابات .. وجميعهم الآن عاطلين عن العمل ويعانون الفاقة والجوع بعد انقطاع مورد رزقهم الوحيد .

وأضاف بصوت عالٍ قبل أن يخطو القناص خارج الفندق ؛ ولكنك برغم ذلك لن تجد واحداً منهم يغامر باصطحابك داخل الغابات ولو مات من الجوع !

ولم يستمع القناص لبقية ماقاله موظف الاستعلامات .. فماكان أي تحذير ليجدى معه .. بل لعل مثل ذلك الخطر الكامن في قلب الغابات كان يجتذبه

اجتذاباً .. ويدعوه لاقتحامها دون هوادة .

وكان من السهل الوصول إلى المقهى المقام من أعواد البوص وقد جلس إليه عدد من الأدلاء يثرثرون ويحتسون المشروبات المحلية ، كانوا جميعاً قد تخطوا الستين من عمرهم .. وبدا أن تلك المهنة لم تعد تجذب الشباب ..

ولم يكترث أحدهم لدخول (مراد) المكان .. ولكن ما إن نطق القناص عبارته الوحيدة حتى ساد بعدها صمت عميق .. وحملقت العيون فيه ذاهلة وكأنها توشك أن تخرج من محاجرها .. وقد تصاعدت أنفاس أصحابها إلى درجة اللهاث .

كان ما قاله القناص بالتحديد .. إن كان ثمة دليل يرغب في اصطحابه داخل الغابات وكان لوقع عبارته دوي شديد .. وكأنه ألقى بقنبلة في وسطهم ..

وقال أحدهم وهو يبتلع لعابه بعينين واسعتين عن آخرهما : إنه مجنون بدون شك !

وجفف آخر عرقه بيد مرتعشة مواصلاً : أو لعله يسعى للانتحار .

وقال ثالث في اضطراب : إن وحوش الغابة نفسها باتت تتجنب أوكارها خشية من خطر الموت المختفى فيها .

التقط (مراد) مائتي دولاراً من جيبه أبرزهم بين

أصابعه قائلاً في إغراء : من يرغب في كسب تلك النقود مقابل عمل يوم أو اثنين فقط .. هيا .. إننى انتظر أحد الشجعان الراغبين في كسب بعض المال .

حملق الجالسون في النقود بنهم وجشع .. كان مثل ذلك المبلغ ثروة بالنسبة لهم .. ولكن أحداً منهم لم يجرؤ على أن يمد يده نحوه أو ينطق بكلمة واحدة .. وغمغم القناص في أسف : يبدو أننى أخطأت المكان المناسب للحصول على ما أسعى إليه .. فهذه روضة أطفال وليس مكاناً لاجتماع أدلاء الغابات وقاهري وحوشها .

وجاء صوت من خلف (مراد) يقول : لماذا لا تجعل المبلغ المعروض ثلاثمائة دولاراً لتحصل على مرشد جيد ؟

واستدار القناص وهو يقول بدوره : ما رأيك في أربعمائة إذن ؟

ووقع بصر القناص على محدثه ..

كان كهلاً يقترب من الخمسين .. نحيل بشكل بالغ .. طويل .. لا يميزه غير عينين تومضان وتلمعان مثل عيون البوم في الظلام ووجه مجعد كأنه لعجوز في السبعين .. كان الرجل على جملته أشبه ما يكون

بسحرة القبائل الذين تستعين بهم في إبعاد الأرواح الشريرة أو علاج الأمراض .

وترامق الكهل مع القناص لحظة دون أن يطرف له جفن .. ومد يده يلتقط النقود قائلاً : إني أُدعَى (سامبو) .. فمتى ترغب في بدء رحلتك داخل الغابات ؟

هز القناص كتفيه مجيباً : الآن إذا شئت .

تساءل (سامبو) بعينين متفرستين :

– وهل لديك الاستعدادات اللازمة .

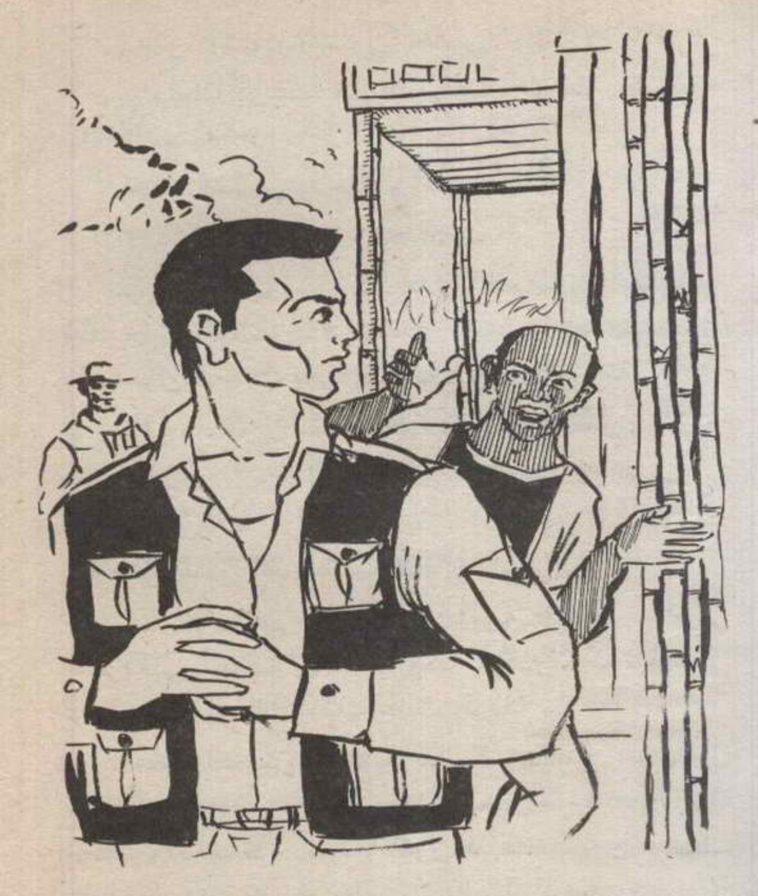
أجابه القناص في مرح : إنني أمتلك روحاً وثابة للمغامرات ، وأنا أنتظر ماتقترحه عليّ في هذا الشأن إن كان ذلك غير كافٍ !

تجاهل (سامبو) لهجة القناص المرحة وأجابه بوجه أشد تقطيباً :

– نحن في حاجة إلى سيارة جيب من طراز خاص .. وطعام وماء وبندقية ورصاص .. وسيكلفك ذلك الكثير .

أبرز القناص رُزمة من الدولارات قائلاً :

– لديّ من المال أكثر مما تظن لا ينتظر مني سوى إنفاقه !



تساءل (سامبو) بعينين متفرستين : وهل لديك الاستعدادات اللازمة ؟

وبادره (سامبو) بسؤال مفاجيء قائلاً :

– ولماذا ترغب في القيام بهذه الرحلة الخطرة بذلك الإصرار ؟

أجابه القناص بلامبالاة ظاهرة :

– فلنقل إنها غريزة تحدى الخطر ..

وساد صمت ثقيل بعد عبارة القناص الأخيرة .. وقد حبس الجالسون في المكان أنفسهم وهم يشاهدون ويسمعون الحديث بعيون واسعة وآذان مرهفة .

كان مايجرى أمامهم أغرب من كل منطق وعقل .

والأكثر إثارة للدهشة كان ذلك الدليل الغامض الذي ظهر بغتة .. دون أن يعرف أحد من أين جاء .. ولامتى امتهن اصطحاب السياح داخل الغابات .

دس (سامبو) النقود في جيبه قائلاً : انتظرني هنا فإنني أعرف شخصاً يمكنه توفير مانحتاجه في وقت قليل .. ولن أغيب عليك طويلاً ..

أجابه القناص في لهجة مرحة : حسناً .. سأحاول تجربة مشروب البلاد الوطنى لحين عودتك .. وإذا عدت ولم تجدنى ، فربما أكون قد دفعت ثمن فضولي البالغ بتجربة كل شيء في تلك الحياة القصيرة .

أومأ (سامبو) برأسه في صمت وقد بدا أن لهجة

القناص لم تفلح في انتزاع ابتسامة واحدة من وجهه المقطب .

والتفت القناص إلى رفيقه قائلاً : يُخيل لي أنك في حاجة شديدة للمال .. وإلا ماقبلت اصطحابي لتلك الرحلة .

التمعت عينا (سامبو) بقوة وقال :

– بالعكس .. فلست في حاجة للمال بشكل عاجل .. بل إنني لم أهتم به طوال عمري أبداً .. فقد كنت من أصحاب الملايين يوماً ما .

وواصل في لهجة خاصة : فلنقل إنني أيضاً مغرم باقتحام الخطر .. وأولئك الأدلاء المساكين قد يموتون جوعاً إذا لم يبادر شخص ماإلى اقتحام الغابات .. ليغريهم باتباعه .

قال القناص في دهاء وهو يراقب ملامح محدثه :

– هذا مرهون بعودة ذلك الشخص سالماً .

حدج (سامبو) القناص بنظرة قصيرة مقطبة .. كان بوجهه الأسود المغضن وفكه النحيل الرفيع وجبهته العريضة مثالاً لكهل أفريقي لاقى من المخاطر أكثر مما يظن أي إنسان . وأدار وجهه نحو الطريق وهو يقول : دعنا نطلب الحظ الحسن لأنفسنا ..

ولتساعدنا الأرواح الطيبة في العودة سالمين .

وزاد من سرعة السيارة مقترباً من حدود الغابات المفتوحة .. ولكن فجأة تهاوى جذع شجرة أمام السيارة ليسد عليها الطريق في حركة مباغتة .. فأدار (سامبو) مقود السيارة بعنف في مهارة وسرعة بالغتين ، ونجح في عدم الارتطام بجذع الشجرة الضخم قبل أن يصطدم به بسنتيمترات قليلة ؛ ولكن وفي اللحظة التالية اندفع عدد من المسلحين شاهرين بنادقهم في وجه راكبي الجيب ، وأصابعهم تتأهب لإطلاق الرصاص .

وبدا أنها النهاية وقد جاءت سريعاً ودون توقع ..

ومن قبل دخول الغابات !

* * *

دائرة الشر

ولكن (سامبو) صاح بأعلى صوته : لاتطلقوا النار .. نحن لسنا من جنود السفاح .

على الفور تراخت أيدى المسلحين .. ورمقوا القناص ورفيقه بعيون حذرة .. واستدار سامبو نحو مراد قائلاً : إنهم من رجال الجيش .. وهم ينصبون الأكمنة الفجائية للسيارات المارة خشية أن يكون بداخلها رجال (بوساكا) في طريقهم لعملية تخريبية .

أشار أحد الجنود لراكبي الجيب قائلاً : غادرا سيارتكما .. فالقائد يريد أن يراكما .

وأشار إلى كوخ قريب كان بمثابة مكتب للقائد .. وما أن غادر مراد و (سامبو) السيارة حتى راح الجنود يفتشونها بدقة .

واستقبلهم القائد في تقطيب قائلاً : هل يمكنني سؤالكما إلى أين تمضيان داخل الغابات ؟

لبث (سامبو) صامتاً فأجابه القناص : فلنقل أننا في رحلة صيد لقنص بعض الحيوانات .

تجهم القائد قائلاً : أخشى أن يقتنصكما رجال بوساكا داخل الغابات .. فهم لايسمحون لإنسان مابولوجها ، فحتى ضباطنا لايسلمون من أذاهم إذا ماتخطوا حدود الغابات .. فالموت يختفي وراء كل شجرة بداخلها .. وأرضها مليئة بالفخاخ القاتلة .

هز القناص كتفيه في لهجة مرحة قائلاً :

– لعلنا نكون أوفر حظاً ياسيدي ، فإنني شخص متفائل بطبعي !

تأمله القائد في تقطيب أشد وهو يقول :

– إن لك إصرار غريب على اقتحام الخطر .

– إنه متعتي الوحيدة .. في الحياة .. ولست أظن أن امبراطوراً هارباً يمكن أن يسلبها مني .

فتح القائد درج مكتبه وأبرز ورقة مطبوعة مدها إلى القناص قائلاً :

– حسناً .. سوف توقع إقراراً بمسئوليتك عما قد

يجرى لك داخل الغابات .. لكي لايطالبنا ورثتك بأي تعويض !

أجابه القناص وهو يوقع الإقرار في لهجة لاتخلو من سخرية وتهكم :

– لاتخشى شيئاً .. فليس ثمة ورثة خلفي ليطالبوا حكومتك بأي تعويض ما .. ولاحتى بجنازة عسكرية !

تجاهل القائد لهجة القناص الساخرة ، ومد قصاصة ورقية صغيرة إليه قائلاً : هاهو عنواني .. فإذا تعرضت لأي مأزق فابعث لي برسالة ، وسأهب لإنقاذك على الفور !

التقط القناص الورقة الصغيرة ودسها في جيبه قائلاً في تهكم واضح : إننى شاكر لك حسن تعاونك ياسيدي ورغبتك الحارة في حمايتى .. ولكن مايحيرني هو الطريقة التي سأراسلك بها من قلب الغابة لتهرع لنجدتي ؟

أجابه القائد في سخرية بدوره : هذه مشكلتك أنت !

وأضاف في سخرية أقسى لاتخفى وهو ينهض واقفاً معلناً نهاية المقابلة : لاأحب أن يتهمنا أحد بأننا لم نقدم خدماتنا الأمنية حتى للسياح المتهورين الذين

لايدركون الفارق بين مايشاهدونه على شاشة السينما ، وبين مايحدث في الواقع .

بدت لهجة القائد واضحة القصد .. وكأنه يؤكد للقناص أنه ذاهب بلاعودة .. ولكنه طوى الورقة الصغيرة ودسها في جيبه قائلاً : شكراً لك على أي حال أيها القائد .

وفي الخارج كان الجنود قد تمكنوا من رفع الشجرة الضخمة وإزاحتها عن الطريق ، وانطلقت الجيب براكبيها .. وقد وقف القائد في الخلف مقطبا .. وملامح (سامبو) منطبعة في ذهنه .. وقد راح يتساءل أين قد رآه من قبل .. ولماذا يبدو له ذلك الوجه مألوفاً بشكل غير عادي ؟

ومضى وقت دون أن يصادف راكبا الجيب وحشاًما .. فاستدار القناص نحو (سامبو) الذي بادره قائلاً : لقد باتت وحوش الغابة تخشي من مجرد الظهور لأي إنسان .. بعد مافعله رجال (بوساكا) من مذابح لها .. حتى لاتهاجمهم داخل الغابات .. وحتى سكان الغابة من البدائيين هجروها إلى المدن القريبة لنفس السبب .

ضاقت عينا القناص وهو يقول : كأنك تقرأ أفكارى .

تأمله (سامبو) لحظة وكأنه يقرأ أفكاره قائلاً :

- كان سؤالك منطبعاً في عينيك .. وأنا أجيد قراءة ماتنطق به العيون .

تساءل القناص في دهاء : وماذا قرأت في عينى أيضاً ؟

ألقى (سامبو) بصره بعيداً ، وبدا أنه شارد الفكر وهو يقول :

- أنت رجل تعشق اقتحام الخطر .. وتمتهن عملاً يحقق لك تلك الهواية .. أو لنقل تلك المتعة .. وهو ماجعلك تتحدى الخطر داخل هذه الغابات وتقرر اقتحامها .. ولوكانت كعهدها السابق ، لايمرح فيها سوى حيواناتها ووحوشها .. ربما مافكرت في دخولها أو القيام بجولة فيها لأنك لن تجد فيها مايغريك بدخولها ، أليس كذلك ؟

زوى القناص مابين حاجبيه .. وقال في إعجاب لمرافقه :

- إن مواهبك رائعة .. ولاتليق برجل يعمل كمرشد للسياح داخل الغابات .

لم ينطق (سامبو) بشيء بالرغم من دلالة حديث القناص .. وبدا أنه غير راغب في الإجابة على ذلك السؤال بالذات .. وشرد ببصره بعيداً في صمت مطبق .

وتساءل (مْراد) : هل كان (بوساكا) حاكماً سيئاً لذلك الحد ؟

جزّ (سامبو) أسنانه في كراهية عميقة قائلاً :

– إنه أسوأ مما يظن أي إنسان .. فقد كانت هوايته القتل وسفك الدماء ولذلك لقبوه بالسفاح والمؤسف أن البعض ممن كانت لهم مصالح خاصة معه لايزالوا يؤيدون عودته للحكم ، متجاهلين ماقام به ذلك القاتل من مجازر تفوق ماقام به (هولاكو) و (جينكيز خان) .

مطّ القناص شفتيه قائلاً : إن لك ثقافة جيدة .

رمق (سامبو) القناص في صمت ولم يرد بشيء .. وبدا أنه غير مستعد للحديث عن نفسه ، وأدرك مراد أن رفيقه ليس مجرد دليل عادى .. وأنه رجل حافل بالأسرار ، واحترم رغبته في الصمت وأخذ يراقب الغابة حوله بنظارة مُقرّبة وهو يلتقط صوراً لبعض حيواناتها ، بكاميرا خاصة بين الحين والآخر .

ومالت الشمس للغروب بعد قليل فقال (سامبو) للقناص : هل تفضل العودة للفندق لقضاء الليل .. ثم نعاود دخول الغابة في الصباح ؟

أجابه القناص في لهجة خاصة : إن من ينتظروننا

في الفندق ومقهى الأدلاء يتوقعون منا قصصاً مثيرة .. ولايمكن أن نخذلهم ونعود بأيدينا خاوية .

استدار (سامبو) نحوه بعينين ضيقتين متسائلاً :

– هل تأمل في مصادفة بعض رجال (بوساكا) ؟

أجابه القناص في لهجة حارة : بل لنقُل أننى أرجو ذلك وأتمناه !

وماكاد القناص يتم عبارته ، حتى ارتجت السيارة بعنف واندفعت لتسقط داخل حفرة كبيرة في الطريق كانت مغطاة ببعض الأعشاب وأوراق الأشجار الكبيرة .

كان السقوط مفاجئاً .. وبدا كأن القدر استجاب لرجاء القناص سريعاً في مواجهة دامية !

لم يكن هناك أحد في الجوار .. وتحسس (سامبو) جبهته التي أصيبت ببعض الرضوض من السقوط المفاجىء وقال : لقد أعد هذه الحفرة شخص ماوأخفاها بمهارة .

أجابه القناص وهو يجاهد لفتح الباب المغلق بجواره :

– ولست أظن أنها لاصطياد الحيوانات ..

تساءل (سامبو) في توتر : هل تقصد ..

قاطعه القناص قائلاً : دون شك .. ولابد أن رجال

(بوساكا) في مكان ماحولنا يراقبوننا الآن ليشاهدوا ماسنفعله بعد سقوط سيارتنا داخل تلك الحفرة التي أعدوها من يتطفلون داخل الغابات .

تطلع (سامبو) حوله في توتر .. وغمغم قائلاً : أرجو ألا يكون ما قلته صحيحاً وإلا سنكون قد وقعنا في مأزق قاتل .

وغادر السيارة متتبعاً القناص .. وقد أطبق الظلام على المكان .. وتعالت أصوات بعض الحيوانات والوحوش على البُعد .. في حين كانت السيارة مستقرة داخل حفرة عمقها لا يقل عن ثلاثة أمتار ويبدو إخراجها من مكانها في حاجة إلى رافعة عملاقة .

وغمغم (سامبو) وهو يتحسس ذراعه التي أصيبت ببعض الرضوض : سيستحيل علينا إخراج السيارة من تلك الحفرة .

وتلفت حوله في قلق أشد مضيفاً : وسيستحيل علينا العودة من حيث جئنا سيراً على الأقدام فالمسافة كبيرة والمكان حافل بالأخطار .

تأمل (مراد) المكان المظلم حوله قائلاً :

– لماذا تسبق الأحداث ياعزيزى .. إنها فرصة لقضاء الليل في ذلك المكان .. سوف نفترش المكان ونشعل بعض النار و..

قاطعه (سامبو) منزعجاً : إن النار كفيلة باجتذاب رجال (بوساكا) إلينا .. وسيكون في ذلك نهايتنا .

أجابه القناص في هدوء :

– ولكننا إذا لم نشعل ناراً ، فستجذب رائحتنا كل وحوش الغابة ، وهو مايعنى نهايتنا أيضاً ..

والتقط بندقية الصيد في حزم مواصلاً :

– وأنا أفضل أن أصوب نيران بندقيتي إلى وحوش البشر .. لا إلى وحوش الغابة .

لم ينطق (سامبو) بشيء .. وجمع القناص بعض الأغصان والأعشاب اليابسة وكومها على مقربة وأشعل فيها النار .. جلس هو و (سامبو) إلى جوارها صامتين ، وقد بدا أن أي حديث بينهما لا معنى له في ذلك المأزق .

وتمدد الدليل بعد لحظة وأغمض عينيه .. وبدا أنه استغرق في نوم عميق .. في حين لم يُغْمَضْ للقناص جفن طوال الليل ..

فقد كان ثمة مايشغله .. ولو أتيح لرفيقه الاطلاع عليه .. لربما مات بسكتة قلبية مفاجئة !!

★ ★ ★

عندما استيقظ (سبامبو) في الصباح واعتدل من

رقدته وهو يتثائب تذكر ماجرى بالأمس فتطلع إلى الحفرة العميقة في يأس .. ولكن ماكاد بصره يسقط عليها حتى أصابه ذهول بالغ وهو يحدق في الحفرة وعيناه مفتوحتان عن آخرهما .

كانت الحفرة العريضة خالية من السيارة الجيب .. التي انتصبت على مقربة خارج الحفرة .. سليمة من كل سوء .. وكأن يد ساحر قد أخرجتها من قلب الحفرة بقوة غير مرئية ورفعتها إلى جانب الطريق .

وجاء صوت القناص من الخلف يقول : لم أكن أظن أن الأمر سيدهشك بمثل تلك الصورة .

استدار (سامبو) إلى القناص بنفس النظرة الذاهلة قائلاً : كيف فعلتها .. هل أنت ساحر ؟

هز القناص كتفيه قائلاً : كان الأمر أسهل مما تتصور ولايحتاج إلى تمائم وتعاويذ ووصفات سحرية .. فقد صادفنى فيل شارد عن القطيع الذاهب إلى أحد الأنهار القريبة .. فاستعنت ببعض أغصان الأشجار المجدولة كالحبال في ربط مقدمة السيارة بمؤخرة الفيل وقد قام بالعمل المطلوب دون أن يطالب بأجره ، تشجيعاً للسياحة المحلية !

وأضاف باسماً : كان لي صديق يهوى ترويض

الحيوانات .. وكانت هوايتي مراقبته في عمله .. وقد أفلحت تلك الهواية في إقناع ذلك الفيل بالتعاون معي كما ترى .

ابتلع (سامبو) لعابه وهو لايزال يحدّق في القناص دون أن يجد مايقوله .. ثم تنبه لشيء آخر لايقل غرابة .. كانت هناك حمامة بيضاء قد استقرت فوق كتف القناص .. ولاحظ مراد نظرات رفيقه فقال له : لقد حطت أمامي في الليل .. ولابد أنها استأنست بالنيران التي أشعلناها .

تأمل (سامبو) الحمامة في دهشة قائلاً : إنها حمامة زاجل .. ومثل هذا النوع من الحمام لاوجود له في بلادنا .

ربت القناص على الحمامة قائلاً :

– لقد أدهشني الأمر أيضاً .. ولكن كان عليّ تقبل الأمر .. فبلادكم حافلة بكثير من الغرائب التي يحار المرء في فهمها .

قال (سامبو) في توتر : لعلها تحمل رسالة ما .

أجاب القناص في بساطة :

– لقد فحصتها ولم أعثر على أي رسالة .

غمغم (سامبو) في دهشة : هذا غريب !

تحرك القناص صوب الجيب قائلاً :

- لاوقت أمامنا .. فعلينا التحرك ومواصلة جولتنا قبل اشتداد حرارة الشمس .

وقطع القناص عبارته عندما دوى زئير مخيف من الخلف .

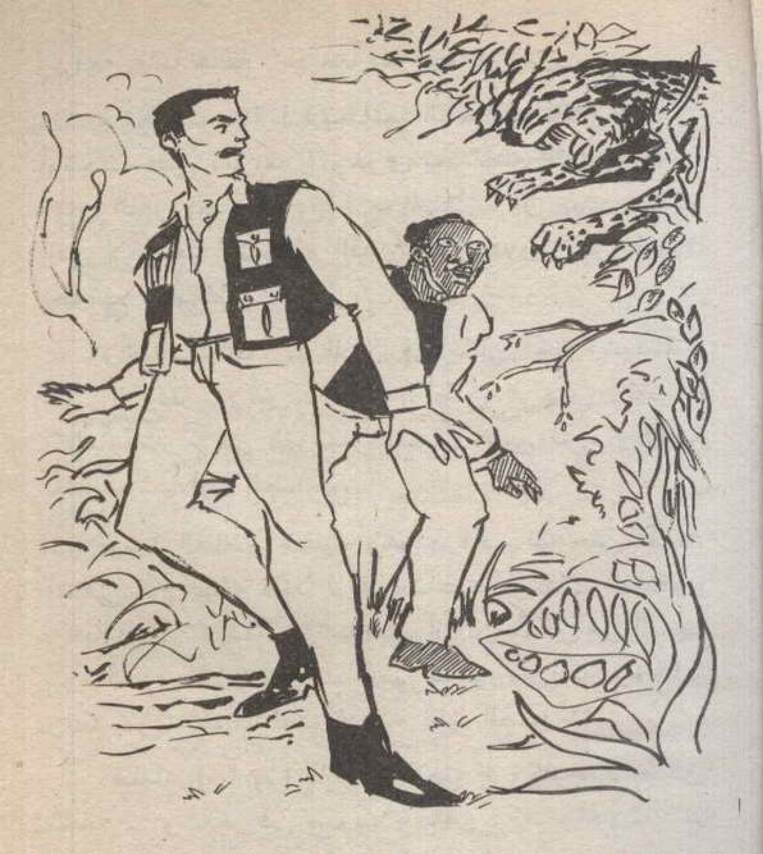
زئير حيوان متوحش يوشك أن ينقض على فريسته .

واستدار القناص بسرعة وقد إشتم رائحة الخطر .. وتحفزت خلاياه للعمل بسرعة .. في نفس اللحظة التي شاهد فيها نمراً رهيباً يقفز من أحد الأشجار نحوه .. وقد أطل الجوع من عينيه ، وبدت مخالبه المخيفة المشرعة للأمام كسنون حراب توشك أن تعمل عملها في التمزيق وتقطيع الأوصال .

كان (مراد) بلاسلاح .. وبندقية الصيد الوحيدة التي يملكها داخل الجيب .. وليس هناك متسع من الوقت لالتقاطها .. وماكان الوحش الجائع ليسمح له بذلك أبداً .

ولكن القناص تصرف بسرعة خاطفة .. فما كان قلة السلاح ليعجزه عن الدفاع عن نفسه أبداً .

وبطريقة يستحيل على غيره القيام بها .. انحنى على الأرض في غمضة عين والتقط جذع شجرة قريب



استدار القناص بسرعة وقد اشتم رائحة الخطر وتحفزت خلاياه للعمل بسرعة .

ورفعه عالياً هاتفاً : مرحباً بك أيها الوحش .

وانحرف يساراً ليتحاشى المخالب القاتلة التي أوشكت على تمزيقه ، وهوى بسلاحه البدائي فوق رأس النمر بضربة عنيفة مواصلاً : من سوء حظك أنني لاأرحب بالغرباء الذين يأتون دون دعوة لملء بطونهم بالطعام !

وأصابت الضربة النمر في مكان مؤثر .. فألقته على الأرض برأس دامية ، وأطلق الوحش زئيراً متألماً وشرع في الهرب لايلوى على شيء وكأنما تطارده شياطين الجحيم .

ومط القناص شفتيه وهو يراقب الوحش الذي اختفى عن عينيه قائلاً : لقد ضاعت من ذلك المسكين وجبة إفطار جيدة .. والمؤسف أنه لن يتمكن من الصيد مرة أخرى قبل شهر .. حتى تشفى جراحه ، وقبلها ربما يموت جوعاً لعدم قدرته على الصيد !!

فتأمله (سامبو) بأنفاس لاهثة ؛ وكأنه لايصدق نجاته .. وغمغم في صوت محتقن : لقد واجهت ذلك النمر في براعة وشجاعة لامثيل لهما .. مثل بطل أسطوري لايخشى أي خطر .

تجاهل القناص ماقاله (سامبو) وواصل قائلاً :

- هذا سيعلم ذلك النمر أن يدقق في اختيار وجبات طعامه في المرات القادمة .

غمغم (سامبو) في تساؤل حار : أي رجل تكون .. إنك تواجه الموت وتتحدث عنه دون خشية ، وبسخرية لاذعة .. فأخبرنى من تكون أيها الرجل ؟

أجابه القناص في لهجة غامضة :

- إنني صياد مثلك ياعزيزي .. ولكنى متخصص في اقتناص البشر .. ولاأتعامل إلا مع أسوأ الأنواع منهم ، وهم أكثر توحشاً من ذلك النمر المسكين .. لذا تجد أن مواجهتي له ليست بطولة تستحق كل ذلك الإعجاب من جانبك .

ضاقت عينا (سامبو) .. وبدت إجابة القناص محيرة له .. ولكنه لم ينطق بشيء ..

واستدار القناص ببطء حوله .. كان ثمة إحساس لديه بأن هناك عيوناً خفية تراقبه من قلب الأشجار .. بالرغم من عدم وجود إنسان ماعلى مقربة .

واقتربت الحمامة الزاجل وحطت على كتف القناص وقد بدا أنها آنست إليه .. فربت فوق رأسها برفق وقال لـ(سامبو) : هيا .. لم يعد هناك مانفعله في هذا المكان .

أومأ (سامبو) برأسه في صمت .. وقد بدا له أن أي أسئلة قد يطرحها لن يحصل منها على إجابات شافية من ذلك الشاب الغامض .. المفعم بثقة بالنفس وجرأة بالغة لاحد لهما ، وانطلقت الجيب براكبيها .. وعينا القناص تتفحصان كل مايمر به في دقة .. وغمغم :

الغريب أن رجال (بوساكا) لم يظهروا لنا حتى الآن .. فمن المستحيل عليهم عدم معرفة دخولنا الغابة التي يتحصنون فيها .. بالرغم من أنني أشعر بعيونهم الخفية تراقبنا من مكان ماوتنتظر اللحظة المناسبة للظهور .

ضاقت عينا (سامبو) في توتر وهو يقول :

– لو كان ذلك صحيحاً .. فإنه لايعنى سوى شيء وحيد .. وهو أننا لن نغادر هذه الغابة أحياء .. فإنهم لايعرفون غير قانون وحيد .. القتل دون رحمة .

استدار القناص صوبه قائلاً : كأنك تعاملت معهم من قبل وتعرفهم جيداً .

تطلع (سامبو) إلى القناص في صمت دون أن يرد عليه .. وتعقدت جبهته في خطوط غائرة وقد أطلت نظرة متجهمة قاسية من عينيه .. وكأن محدثه قد مس فيه وتراً حساساً واكتشف سراً كان يجاهد لإخفائه بشتى الطرق .

كانت نظرة (سامبو) تعني أن ذلك الرجل يخفي داخله أسراراً مخيفة .

وقد كان القناص على حق في شكوكه ، فعلى مقربة كانت ثمة عيون خفية تراقب الجيب التي راحت تقترب وتدنو من دائرة خاصة .. دائرة الشر .. دائرة الموت .

وعندما صارت الجيب في قلب الدائرة بالضبط .. أعطى شخص ما من وسط الأشجار إشارته على البعد .

وفي الحال دوى انفجار شديد أسفل الجيب رفعها لأعلى ، ثم أسقطها على جنبها .. وقد اشتعلت فيها النيران كالجحيم ..

★ ★ ★

غابـة الجحيـم

ما إن دوى الانفجار ، حتى اختفت العيون المراقبة في قلب الأدغال وأصحابها على يقين من أن أحداً من راكبى السيارة لن ينجو من ذلك الانفجار ..

ولكن الأمر كان مختلفاً بعض الشيء .

وكأن يد العناية الإلهية قد تدخلت في الأمر .. كأن الموت لايأتي بسهولـة لمـن يغامـر باقتحـام المهـالك والأخطار .

فأطل وجه القناص من زجـاج واجهـة السيـارة

المهشم ، ثم قفز خارجها ، وليس من أثر للإصابة فيه سوى بعض الخدوش في ذراعيه وتمزق سترته .

وتطلع حوله .. كان لايصدق أنه نجا بمثل تلك الطريقة .. وقد اختفى مهاجموه وقد تأكدوا من هلاكه و (سامبو) .

وكان رفيقه قد اختفى أيضاً .. وكأنه طار في الهواء .. أو مزقه الانفجار دون أن يترك منه أي بقايا .

وقد كان الاستنتاج الأول صحيحاً .. فقد علا صوت متأوه في مكان قريب .. وهرع القناص نحو مصدر الصوت فشاهد (سامبو) ممدداً على الأرض وساقه اليسرى تنزف بغزارة .. وغمغم صاحبها وهو يعض نواجزه قهراً وألماً ، لقد قذف بي الانفجار خارج السيارة .. ومزق ساقي .

مزق القناص ماتبقى من قميصه صانعاً منه ضمادة طويلة وهو يقول :

- أنت محظوظ أيها الرجل .. بل نحن محظوظان لأن الانفجار لم يمزق كلينا .. ولحسن الحظ أن خزان وقود السيارة كان شبه فارغ .. وإلا لاندلع جحيم من النيران حولنا .

أغمض (سامبو) عينيه في ألم حار قائلاً : لقد احتطت للأمر مُسبقاً .. فإنني عليم بألاعيب رجال

(بوساكا) وتفننهم في زرع الألغام الأرضية .. لذا استأجرت سيارة جيب ذات شاسيه مصفح مما تستخدمه الدبابات .. ولولا ذلك لتمزقت الجيب بفعل الانفجار إلى ألف قطعة .

تأمل القناص محدثه لحظة وغمغم يقول : يبدو أنني شخص محظوظ .. لأنني استعنت بخدمات رجل مثلك .

وأخذ يضمد ساق (سامبو) .. ولكن الدماء اندفعت من الساق الجريحة غزيرة قوية ، فقال (سامبو) وهو يعض شفتيه بقسوة لشدة آلامه : إنها بحاجة للكي .. وإلا ستظل تنزف حتى أموت .

وأخرج من سترته سكيناً حادة رفيعة مدها إلى القناص مواصلاً : أشعل بعض النار وضع فيها نصل هذه السكين حتى تتقد .

تساءل القناص مقطبا :

- وهل ستتحمل قدر الألم .. يمكننا أن نستعين بنبات مخدر حولنا لتخفيف الألم عنك .

التمعت عينا (سامبو) وتفصد العرق غزيراً من جبهته وهو يقول : بل إنني أشتهي هذا الألم وأستحق

آلاماً تزيد عنه آلاف المرات ، عسى أن يخفف من جراح قلبي وروحي المعذبة .

بدت إجابة الدليل غريبة وغير متوقعة .. وفي صمت أشعل القناص بعض النيران ودس نصل السكين في قلبها حتى التهبت .. ومد سامبو يده إلى القناص قائلاً وهو يرتعد : دعني أقوم بالعمل بنفسي .

ناوله القناص السكين في صمت .. والتقطها (سامبو) دون أن تطرف له عين .. ووضع السكين فوق ساقه الجريحة يكويها .. وأغمض عينيه ألماً ورائحة اللحم المحترق تزكم الأنفاس .. ثم عاود عمله مرة أخرى وهو يعض نواجذه .. ثم تهاوى على الأرض وهو يرتجف ، فالتقط القناص الضمادة ولفها حول الساق الجريحة .. وغمغم قائلاً : من سوء الحظ أن السيارة لم تعد صالحة للعمل .. وليست هناك وسيلة تعيدنا إلى مشارف الغابة لتلقى العناية الطبية اللازمة في أحد المستشفيات .

التهبت عينا (سامبو) بشدة وقال في صوت مرتجف :

– ومن قال إنني أرغب في العودة .. فلاشيء سيثنيني عن تحقيق هدفي في هذه الغابة .. ولو قطعت ساقاي فسأزحف على يداى .

ضاقت عينا القناص وهو يقول : يخيل لى أنك تسعى خلف هدف خاص .. إنه (بوساكا) .. أليس كذلك ؟

أومأ (سامبو) برأسه في صمت .. وبدا أنه يستعيد شيئاً من قوته الخائرة .. وغمغم يقول وقد تصاعدت أنفاسه كالفحيح : لن يوقفني سوى الموت عن أن أسدد انتقامي إلى هذا الوحش الآدمي كاملاً .. فهذا هو السبب الذي دفعني إلى دخول هذه الغابة ؛ ولن أغادرها دون تحقيق هذا الهدف .

– يخيل لى أن هناك ثأراً بينكما .

تندت الدموع في عيني (سامبو) .. وبدا أنه يستعيد ذكرى أشد إيلاماً من جراحه ، وقال في صوت يقطر مرارة وأسى : لقد عملت في خدمة (بوساكا) سنيناً طويلة وخدمته بإخلاص .. ولطالما رأيت بشاعته في القتل وسفك الدماء دون أن يهتز لى جفن أو أفكر في مصير أولئك الضحايا الذين قتلهم دون ذنب .. ولعلني ساعدته في جرائمه خشية وتملقاً ؛ ولكن الأمر اختلف كثيراً .. عندما تعلق بابنتي الوحيدة (آكو) التي رغب (بوساكا) في الزواج منها .. ولكنها كانت ذات ضمير حي مرهفة الحس فرفضت أن تقترن بذلك الوحش ، فكان أن أمر بقتلها دون رحمة أو شفقة .. دون أن تشفع له توسلاتي وخدمتي الطويلة له .

ومسح (سامبو) دموعه .. وقد بدا رجلاً قتله الحزن فراقبه القناص في بعض الحزن والتأثر .. كأن محدثه بقايا إنسان برغم مايبدو عليه من إصرار وعزيمة .

وشهق (سامبو) مواصلاً : بعدها أمر (بوساكا) بسجني وإعدامي .. ولولا فراره بعد ذلك وسط الغابات مع رجاله لكان مصيري الموت ولهذا آليت على نفسي أن أنتقم لابنتي من ذلك السفاح .. ولكل من قتلهم دون رحمة أو شفقة .

هز القناص رأسه في تأثر قائلاً : إن هذا يفسر أشياء كثيرة .

اعتصر (سامبو) قبضته محاولاً التغلب على ألمه قائلاً :

يمكنك العودة من حيث جئت .. فهذه معركتي لا معركتك .

أجابه القناص في لهجة خاصة : من قال إنها معركتك وحدك .. إن هدفنا واحد .

تطلع (سامبو) إلى (مراد) في تساؤل قائلاً :

- هل ترغب في الانتقام من (بوساكا) أيضاً ؟

أومأ القناص برأسه مجيباً بنعم وهو يقول :

- فلنقُل أنني أرغب في أن يلاقي هذا الوحش جزاءه على كل شروره .

تساءل (سامبو) في صمت مرتجف :

- ولماذا ؟ لماذا ترغب في إزاحة (بوساكا) عن العالم ؟

أجابه القناص في غموض : فلنقُل إن لدي أسبابي الخاصة .. وقد يتاح لك التعرف عليها في القريب .

هز (سامبو) رأسه قائلاً : هذا ماخمنته أيضاً عندما شاهدتك في ذلك المقهى تبحث عن دليل يقودك في قلب الغابات .. فقد دلتني فراستي أنك لست مجرد سائح تبحث عن بعض المتعة المحفوفة بالمخاطر .. بل إنك تسعى لهدف خاص وهو الوصول إلى ذلك السفاح بأي ثمن .. فكأن القدر قد جمعنا سوياً من أجل أن نضع نهاية ذلك المجرم ، وكل زمرته من المرتزقة والإرهابيين الذين يعملون في خدمته .

وتحامل على نفسه ، ونهض واقفاً وهو يقول : هيابنا نواصل مسيرتنا .. فإنني أعرف الطريق إلى وكر ذلك السفاح في الغابات .

قال القناص في إشفاق :

– إنك لن تستطيع السير .. وفي حاجة لبعض الراحة .

ولكن (سامبو) ضغط على ذراع القناص وهو يتشبث به في عنف قائلاً :

– لن يهنأ لى بال حتى أنتقم من ذلك الوغد .. إنهم يظنون موتنا الآن بعد انفجار السيارة .. وعلينا انتهاز تلك الفرصة والمبادرة بالهجوم من حيث لايتوقعون .. وفي نفس الوقت علينا تحاشي الاصطدام برجال (بوساكا) .. فهم مسلحون جيداً وعددهم بالمئات .. ولن يكون اصطدامنا بهم في صالحنا .

بدا شيء من الحذر على وجه القناص وهو يتلفت حوله قائلاً : مايدهشني هو معرفة رجال (بوساكا) مكاننا .. فكأن لهم عيوناً خفية لانراها تراقبنا .. أو كأنما يستعينون بكاميرات تليفزيونية مخفاة في أركان الغابة تكشف لهم مكاننا .

تساند (سامبو) على ذراع القناص وهو يسير قائلاً : هذا ما لا أشك فيه أبداً .. فمن قبل حاولت القوات الحكومية اقتحام الغابات أكثر من مرة .. ولكن رجال السفاح في كل مرة كانوا يفاجئونهم بطريقة مدهشة وينصبون لهم الكمائن والشراك التي تنتهى بقتل الكثير من القوات الحكومية مما دفعهم إلى إيقاف محاولة

اقتحام الغابات ، وهو ماأعطى (بوساكا) الفرصة لتجميع قواته وتسليحها وتدريبها في قلب الغابات .

عاد القناص يتأمل ماحوله قائلاً :

– هذا بالرغم من صعوبة إخفاء كاميرات تليفزيونية في قلب الغابة .. فقرودها وحيواناتها لن تتركها مكانها أبداً وستعبث بها فتفسدها أو تنتزعها من مكانها .

تغلب (سامبو) على آلامه وهو يقول :

– إن (بوساكا) له القدرة أيضاً على الاتصال برجاله في كل أرجاء الغابات وداخل المدن أيضاً .. دون أن يتمكن أحد من اكتشاف وسيلته في ذلك .. ويقال إنه ينتظر وصول شحنة أسلحة متطورة ضخمة قادمة له من بعض أعوانه في الخارج سيشن بها هجوماً ضد القوات الحكومية .. ولوكان ذلك صحيحاً .. لاستعاد ذلك السفاح زمام الأمور بسهولة .. فإن القوات الحكومية لاتملك سوى أسلحة بسيطة .. بنادق وقنابل يدوية وسيارات جيب لايمكنها أن تصمد أمام القنابل والصواريخ المتطورة .

ولم يكمل (سامبو) عبارته .. وتهاوى على الأرض بعد أن خانته قوته .. فحمله القناص فوق

ذراعيه قائلاً : إنك في حاجة إلى بعض الراحة أيها الرجل .

ولكن (سامبو) تشبث بكتف القناص محاولاً الوقوف مرة أخرى ، قائلاً وهو يرتجف : بل إنني سأواصل السير ولن يوقفني شيء عنه سوى الموت .

أجابه القناص في حسم : يبدو أنك ستحصل على راحتك .. بطريقة إجبارية أيها الرجل .

وهوى القناص بجبهته فوق رأس (سامبو) ..

وترنح الرجل وغامت الدنيا في عينيه .. ثم تهاوى بين ذراعي القناص دون حراك .. فمدده مراد إلى جوار شجرة ظليلة .. والتقط ثمرة جوز هند هشمها .. وسكب مائها فوق جبهة (سامبو) الملتهبة ، واعتصر بعضه بين شفتي الرجل اليابستين .

وأحس القناص ببعض الوهن .. كان قد قضي الليل كله متيقظاً .. وبذل مجهوداً كبيراً في يومه الأول واليوم السابق ، فجلس إلى جوار (سامبو) وأسند ظهره إلى الشجرة وأغمض عينيه محاولاً الحصول على بعض الراحة والنوم ، وهو يدرك أن مهمة شاقة تنتظره قريباً ، ومعركة دامية توشك أن تتفجر حممها في أي وقت .

ولكن أذنيه المرهفتين التقطتا صوتاً واهناً .. أشبه

بحفيف الأجنحة .. وفتح القناص عينيه بسرعة ويداه قابضتان على سكين (سامبو) .. ولكنه شاهد ماجعله يبتسم .. كانت الحمامة الزاجل تحوم فوقه .. وهبطت لتستقر فوق كتفه .. فربت (مراد) فوق ريشها الأبيض الجميل قائلاً : مرحباً بعودتك أيتها الرفيقة المخلصة .. لقد نجوت من انفجار السيارة أيضاً .. وها أنتِ تعودين إلى أصدقائك في وفاء جميل .

وأغمض عينيه وراح في نوم حذر .. وبقية حواسه متيقظة ومستعدة للعمل في أي لحظة .

★ ★ ★

وفي مكان ماعلى البعد كان ثمة مشهد آخر مثير ..

ففي قلب الغابات .. كان ثمة عدد من الأكواخ الخشبية التي تنيرها مصابيح كهربائية تستمد طاقتها من مولد كهربائي ضخم إلى الجوار .

كان منظر الأكواخ لايقطع بأنها لسكان الغابة من البدائيين الذين هجروها بعد أن اقتحمها رجال السفاح .. بل تقطع بأن ساكني الأكواخ من طراز آخر من البشر وقد استقرت طائرة هليكوبتر حربية إلى الجوار .

وكان ثمة عشرات من الحراس المدججين بالأسلحة الآلية والقنابل الحارقة قد تناثروا في المكان .. وقد بدوا بوجوههم القاسية وأبدانهم الضخمة

وآثار الندوب العميقة فوق وجوههم وأذرعتهم .. مثال حيّ لأقذر نوع من المرتزقة والسفاحين والإرهابيين .

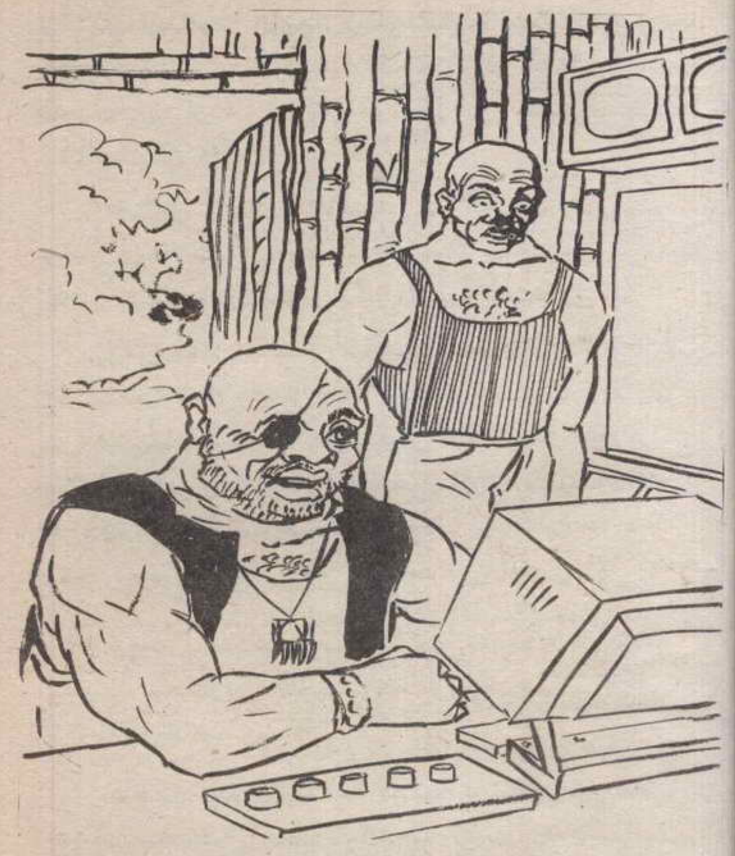
كانــوا خليطــاً من كل الأجنــاس والألوان .. لايجمعهم سوى هدف وحيد .. المال .. دون أن تكون لهم أي قضية .. ودون أن يجمعهم سوى شهوة القتل وسفك الدماء .

وبالداخل كان المشهد أكثر إثارة وغرابة ..

كان أحد الأكواخ من الداخل أشبه بحجرة مراقبة مركزيـة .. وقد تراصت فيهـا أعـداد من الشاشات التليفزيونية .. التي انطبعت فوقها صورة وحيدة ..

صورة القنـاص ورفيقـه الغـائب عن الوعـي .. الممـددان في قلب الغابـة وقت الغـروب وقد وقـف (مافونجا) قائد المرتزقة ، ببدنه الضخم وساعديـه المخيفين يراقب الشاشات التليفزيونية بعينه الوحيـدة السليمة .. وقد ظهر فيها تعبير قاس من الـغضب ، وهتـف في صوت مشتـعل : مستحـيل .. لقد نجـا الرجلان ولم يؤثر فيهما الانفجار وكأنهما ساحران .. ولو عرف (بوساكا) بذلك الأمر لأصابه غضب عارم واتهمنا بالفشل والتراخي في عملنا .

واستدار إلى بعض رجاله على مقربـة وصرخ فيهم : أريد أن أشاهد موت هذين الرجلين في أقرب



هتف (مافونجا) : لقد نجا الرجلان ولم يؤثر فيهما الانفجار وكأنهما ساحران .

وقت .. اطلقوا عليهم رصاصاتكم واجعلوا جسديهما كالمصفاة .. أو انسفوهما بقنبلة .. أو أشعلوا فيهما محرقة نيران .. ولاتعودوا قبل أن تقضوا عليهما وتتأكدوا من ذلك .

فترامق رجال مافونجا وقد التمعت عيونهم .. وصرخ قائدهم في وحشية : ماذا تنتظرون .. هيا اذهبوا ولاتعودوا بدون رأس هذين المتسللين .

وفي الحال استدار المرتزقة مغادرين الكوخ إلى أقرب سيارة في الخارج .. وبعد ساعات كانا قد اقتربا من هدفهما بعد أن غابت الشمس تماماً وبدأ الليل يرخي سدوله على الغابة التي سادها سكون مخيف .. يثير الرجفة في الأبدان .

سكون ما قبل العاصفة .

وهمس أحدهم وهو يتشبث بمدفعه الرشاش : لنقترب محاذرين فنحاصرهما ونمطرهما برصاصنا من كل اتجاه .

فأجابه آخر وابتسامة كريهة ترتسم على شفتيه : إن لدي وسيلة أفضل ستمتعنا كثيراً .. ولطالما استعملتها ضد من حاربتهم في أمريكا اللاتينية وآسيا .. وكل مايلزمنا هو الحصول على أحد القرود المنتشرة

في تلك الغابة اللعينة ليؤدي المهمة المطلوبة على خير وجه .

فتساءل آخر في دهشة :

- وماذا ستفعل بهذا القرد ؟

أجابه الأول ووجهه طافح بالشر :

- سترى حالاً .

والتقط مسدساً من حزامه وثبت في فوهته كاتماً للصوت .. وصوبه نحو أحد القرود القريبة وأطلقه ..

وأصابت الطلقة ذراع القرد فتهاوي على الأرض وهو يصرخ .. واندفع صاحب المسدس نحوه فكمم فك القرد بحبل قصير .. والتقط صفيحة بنزين أغرق بها القرد وهو يطلق ضحكات مكتومة مستمتعاً بعمله الوحشي ، ثم التفت إلى زملائه قائلاً : والآن ستشاهدون حفل ألعاب نارية لامثيل له .. وعليكم الاستعداد لمغادرة ذلك المكان بسرعة .. فسوف يتحول إلى محرقة وجحيم من النيران التي قد تلتهم نصف تلك الغابة اللعينة . وأخذ يقترب محاذراً من القناص و (سامبو) الراقدين على الأرض .. وعندما صار على مسافة قريبة منهما ، أشعل قداحته وجعل لهبها يمس شعر القرد الغارق في البنزين .. فاشتعل القرد

بالنيران . ودفعه المرتزق نحو الراقدين على الأرض في عنف ، وانطلق هارباً في الاتجاه المضاد وهو يعرف أي جحيم سيشتعل بعد لحظات .

اطلق القرد صرخات مريعة بسبب النيران التي أمسكت به .. واندفع جارياً في كل اتجاه كالمجنون . فأخذت النيران تمسك بالأشجار والأعشاب وكل مايمسه القرد المحترق .

وفتح القناص عينيه مع أول صرخة اطلقها القرد ..

وفعل (سامبو) الشيء نفسه وقد أعادت إليه صرخات القرد المريعة وعيه المفقود .. ووقع بصر الاثنان على أبشع مشهد يمكن أن يشاهده إنسان .. وقد أخذ القرد المشتعل يقفز هنا وهناك في جنون .. في ذات الوقت الذي أمسكت فيه النيران بكل الأشجار حول القناص و(سامبو) في دائرة جهنمية ..

دائرة من الجحيم الذي يستحيل الفكاك منه .. وقد ارتفعت ألسنة النيران عالياً .. وبدا أنها النهاية التي لاشك فيها ..

وأخفى (سامبو) وجهه بكفيه هاتفاً في ذهول : مستحيل أن يهزمني (بوساكا) بمثل تلك الطريقة أبداً .. هذا ليس عدلاً بالمرة .

وادرك القناص أنه ورفيقه في موقف يائس .. وأن (سامبو) كان على حق ..

فقد سدد (بوساكا) إليهما ضربته الأخيرة القاتلة .. والتي لامهرب منها على الاطلاق ، إلا إذا كانت لهما أجنحة للطيران للهروب من ذلك الجحيم !

★ ★ ★

العين الخفية

أطلق (بوساكا) ضحكة عالية وحشية .. ارتج لها كرشه الضخم ووجهه السمين ولُغده الملىء بالشحم .. وتناثر بسببها الرذاذ من فمه بشكل كريه .

كانت ملامحه وحشية تنم عن رغبة عارمة في القتل وسفك الدماء .. وكانت عيناه الواسعتان حمراوان على الدوام .. وكأنهما بُركان متفجر بالدماء .. وشفتاه الغليظتان تبدوان قاسيتين إلى حدٍ مخيف ..

وتوقف (بوساكا) عن ضحكته الوحشية ..

ولمعت الخواتم الماسية في أصابعه الغليظة وهو يراقب المشهد الرهيب أمامه بقلب يرقص سروراً ..

كان المشهـــد مخيفـــاً بحـــق فوق الشاشة التليفزيونية .. يسوده بعض الارتباك بفعل الكاميرا غير الثابتة ، التي تنقل مشاهد الغابة المحترقة دون تركيز ، وقد ظهرت من خلالها ألسنة اللهب التي ارتفعت عالياً تلتهم كل مايصادفها في طريقها .. بحيث لايبدو هناك مهرب أو مفر لإنسان أو حيوان على الأرض .

وهتف (بوساكا) في صوت غليظ قبيح : يالها من نهاية رائعة لذلك الوغد (سامبو) الذي ظن أنه قادر على الوصول إليّ والانتقام مني .. وها هو يتلظى الآن في جحيم تلك النيران ليدرك أن من يحاول مس (بوساكا) بأذى .. تكون تلك هى نهايته على الدوام .. وذلك الأحمق الذي يرافقه .. أتمنى الآن أن أرى هيكله العظمى المحترق المشوه ..

وأطلق ضحكة أخرى أكثر صخباً ووحشية ..

وبدا قليل من الشحوب على وجه (مافونجا) ، وابتلع لعابه وهو يقول لـ(بوساكا) : إنني أخشى أن تمتد النيران إلينا ياسيدي ، فإنها ضخمة جداً وتنتشر بسرعة و ..

قاطعه (بوساكا) في سخرية قائلاً : يالك من قائد مرتزقة محترف أيها الصديق (مافونجا) .. فكيف يقصون عنك تلك القصص عن ضحاياك الذين سقطوا بالآلاف .. والحكومات التي أسقطتها .. وأنت تخشى الآن من بعض النيران .

غمغم (مافونجا) في ارتباك :

- ولكن أيها الامبراطور ..

قاطعه (بوساكا) بعينين ضيقتين كعيون الحيات :

- أخبرني .. هل قدت حرب مرتزقة في الغابات من قبل ؟

أجابه (مافونجا) :

- لا .. ولكني حاربت في عشرات البلدان و ..

قاطعه (بوساكا) مرة أخرى قائلاً :

- هذا لايغفر لك جهلك بحروب الغابات .. والان فلتتعلم درساً ربما يفيدك في حرب قادمة قد تخوضها في مكان ما في المستقبل .. فلو لاحظت اتجاه الرياح ، لأدركت أنها تهب إلى الغرب .. في عكس اتجاهنا .. وهى بذلك ستجعل النيران تمتد إلى أطراف الغابات والمدن الحكومية وربما تبيدها وتحولها إلى جحيم .. ولن تصل إلينا أبداً لأن معسكراتنا في الشرق .

وخبط قبضة يده اليمنى في كف يده اليسرى مواصلاً : كيف لم تخطر لي هذه الفكرةُ من قبل .. فما أن تنطفىء تلك النيران بعد أسبوع أو شهر ، حتى أشعل غيرها لتحويل هذه البلاد إلى جحيم لمن جرءوا على معارضتي والوقوف في وجهي و..

وبتر (بوساكا) عبارته وحملق في ذهول نحو الشاشات التليفزيونية ، وصاح بعد لحظة في صوت وحشي وغضب هادر : مستحيل .. لاأكاد أصدق ماتراه عيناي .. كأنهما شيطانان لا من البشر .

حملق (مافونجا) بدوره نحو الشاشات التليفزيونية وأصابه ذهول مطبق .. كان مايجرى فوقها بعيد عن كل خيال ..

فقد كان ثمة شخصان يقفزان بين رءوس الأشجار مستخدمين أليافها المجدولة مثل الحبال .. للهروب من النيران عبر القفز بين الأشجار .. دون أن تبين ملامحها بسبب بُعد الصورة .

ولكن كان من الواضح أن أحدهما كان يحمل الآخر فوق ظهره ، ولم يكن من شك أن القناص يحمل رفيقه

العاجز عن الحركة ويقفز به فوق الأشجار في براعة ومهارة منقطعتا النظير .

ولم يكن (بوساكا) من الغباء بحيث لايكتشف أن الهاربين من ذلك الجحيم هما (سامبو) .. ورفيقه الآخر برغم رداءة الصورة وأن أحدهما ابتكر ذلك الحل العبقري للهروب من ذلك الجحيم .

وصرخ (بوساكا) في جنون : إنهما يهربان من النيران بطريقة جهنمية .

أربد وجه (مافونجا) بالغضب وقال :

– لن يفلحا .. ولن يستطيعا أن يسبقاها .. فهى تنتشر أسرع .

غمغم (بوساكا) في حقد وكراهية عميقين :

– ولكنهما يسعيان نحو النهر القريب .. ومتى بلغاه سوف يغوصان فيه وستحميهما المياه الباردة من الاحتراق .. ولن تطولهما النيران أبداً .

واتسعت عيناه في بريق وحشي مضيفاً : أن (سامبو) قليل الموهبة .. ولايمكنه أن يبتدع ذلك الحل أو يحمل رفيقه فوق كتفه .. وهذا معناه أن ذلك الشخص الآخر هو الذي قام بالعمل كله ..

وصمت لحظة محملقاً في (مافونجا) .. وغمغم في صوت بطيء : والمفترض أن ذلك الشخص الآخر ليس سوى أحد السياح .. ولكن ما أراه أمامي يشير بالعكس .. فإن ذلك الشاب هو شخص خطر .. بل أخطر مما يظن أي إنسان .. وبقاءه حياً حتى تلك اللحظة يثبت ما أقوله .

وانتفض وهو يشير إلى (مافونجا) صارخاً : اذهب بنفسك إلى النهر .. ولا تأتيني قبل أن تقبض على هذين الاثنين أحياء .. ولا تنسى تلك الحمامة الزاجل اللعينة التي أوشكت أن تفسد كل خططنا بالتصاقها بذلك الشيطان الذي نجهل من يكون .. فليس من السهل تعويضها الآن .. وسوف نوافيكم باللاسلكي إذا ما حاول الهاربان مغادرة النهر أو الاختفاء في مكان آخر ، فكاميرتنا الخفية تكشف لنا كل تحركاتهما دون أن يدريا عنها شيئاً .

وضاقت عينا (بوساكا) إلى أقصى حد .. وغمغم والرزاز يتطاير من شدقيه في مشهد مقزز : إذا لم تعد بهذين الهاربين .. فقد تطير رأسك في المقابل .

وفي الحال انطلق (مافونجا) مثل وحش جريح نحو طريدته .. أو بمعنى أدق .. نحو فريسته وقد تغير الوضع كثيراً ..

فقد صار الأمر بالنسبة له إما أن يصير قاتلاً .. أو مقتولاً ..

وهو لم يكن يرغب في أن يفقد رأسه .. بأي حال من الأحوال .

★ ★ ★

كان عملاً شاقاً دون شك في ذلك الذي يقوم به (مراد عزمي) .

فلم يتخيل القناص أبداً أن يحمل إنساناً بالغاً وراء ظهره ويقفز به وسط الأشجار مُقلداً تلك الشخصية الخيالية (طرزان) للنجاة من جحيم مثل تلك النيران ..

ولكن كان عليه اتخاذ القرار في أقل من الثانية والبدء في تنفيذه حالما شاهد النار تحاصره ورفيقه فقد كانت تلك هى الطريقة الوحيدة للنجاة من تلك النيران الرهيبة .

وكان مستحيلاً على (سامبو) أن يقوم بالعمل ذاته بساقه المصابة .. وماكان يمتلك مثل مهارة القناص أو قوته .. وماكان القناص ليتركه أبداً طعاماً للنيران وينجو بنفسه ، ولم يكن ثمة مفر من أن يتعلق (سامبو) بعنق رفيقه متشبثاً به كآخر أمل له في الحياة ، ولحسن الحظ أن ألياف الأشجار كانت أشبه

بالحبال .. فأتاحت للقناص التعلق بها والقيام بمهمته الخطرة ..

وقد أخذ يسابق النيران والرياح .. في صراع من أجل البقاء .

وأحس بالوهن والألم في ذراعيه وكفيه اللتين أصابتهما الخدوش العميقة بسبب ألياف الأشجار الخشنة .. ولكنه ماكان ليستسلم أبداً .. وأخيراً لاح النهر على البعد .. والنيران تحيط به من كل جانب وتوشك أن تمس رءوس الأشجار .. فصاح القناص في رفيقه : استعد لقفزة غوص خطرة .

فأجابه (سامبو) : لاتخشى عليّ .. فإنني سباح وغواص ماهر .

وكانت قفزة القناص الأخيرة صوب صفحة النهر رائعة حقاً .. لو أتيح لإنسان ماأن يشاهدها لفغر فكه ذهولاً .. وماصدق أن مايراه يحدث في الحقيقة ..

ولكن متى كان (مراد عزمي) .. يجيد فقط مايستطيع الآخرون القيام به ؟

فقد كان وحده يحمل لقب القناص ..

ووحده كان يجيد من المهارات والفنون مايعجز عنه الآخرون ..



صاح القناص في رفيقه : استعد لقفزة غوص خطرة .

وأفلت (سامبو) عنق رفيقه .. وسقط الاثنان في قلب النهر مثل قذيفتين .. وغاصا عميقاً في قلب الماء .. ثم برزت رأساهما تشق صفحة النهر .. الذي انعكس فوقه لهب النيران المتراقصة على مقربة والتقط كل منهما نفساً عميقاً كأنما يستردان به الحياة ذاتها .

وصرخ (سامبو) في فرح : لقد نجونا .. ولا أكاد أصدق مايحدث .

والتفت إلى رفيقه مواصلاً في إعجاب بالغ : إنك بارع جداً .. أمهر شخص قابلته في حياتي .. ولسوف أظل مديناً لك بحياتي ، العمر كله .

ولكن .. كان هناك مايشغل بال القناص عن الإنصات للمديح .. فقد أخذ يراقب النيران في قلق وتوتر وهى تنتشر بسرعة جهنمية ولاحظ (سامبو) مايفعله رفيقه فقال له في حزن : لو استمرت تلك النيران طوال الليل فليس من شك أنها ستبلغ المدن القريبة من الغابات وتلتهمها .. وربما بسببها يموت الآلاف وملايين الحيوانات والطيور ، وسيستحيل على أي إنسان مكافحتها ووقف انتشارها .

هتف القناص في غضب :

– لقد اختار (بوساكا) أسوأ أنواع من البشر

لخدمته .. وهم لايتورعون عن أن يفعلوا أي شيء للوصول إلى أغراضهم القذرة .

أومأ (سامبو) برأسه في حزن قائلاً :

– أن هذا المجرم قد اعتاد الاستعانة بالإرهابيين والمرتزقة في إخضاع سكان البلاد .. وهاهو يستعين بهم لإبادتهم .

وماكاد (سامبو) ينهى عبارته حتى حدث أمر لم يكن متوقعاً ..

أمر كان أشبه بمعجزة إلهية ..

فقد أخذت الأمطار تتساقط بغتة .. ودون مقدمات .

وصرخ (سامبو) : إنه المطر .. مستحيل .. إنه لايسقط في مثل هذا الوقت ..

غمغم القناص في ارتياح وسكينة هادئة تتسلل إلى قلبه : لقد أرسل الله المطر رأفة بالأبرياء .. ولمنع كارثة أوشكت أن تحدث .

واشتد المطر في دقائق حتى صار أشبه بالسيل .. فأخذ (سامبو) يقفز في المياه في فرح مثل طفل صغير .. وقبل أن تمر ربع ساعة كانت النيران قد

خمدت تماماً .. تاركة وراءها لوحة سوداء من الأشجار المحترقة .

وصاح (سامبو) : هيا بنا نغادر النهر ، فلم يعد هناك مايبقينا بداخله .

أجابه القناص وهو يستطلع المكان في حذرٍ :

– أخشى أن عيون (بوساكا) الخفية ستلتقط وجودنا وتكتشف نجاتنا هذه المرة أيضاً ، فترسل مزيد من رجاله للتخلص منا .. فننفق مجهودنا في معارك لا هدف منها .

أخذ (سامبو) يسبح تجاه شاطيء النهر وهو يقول :

– لن يكتشف هذا السفاح مكاننا هذه المرة .. فليس من شك أن النيران أتت على كاميراته الخفية المثبتة في رءوس الأشجار بعد احتراقها .. فقد أفادنا ذلك الحريق من حيث لم يحتسب ذلك المجرم .

ولكن .. كان القناص على ثقة من أن عيون (بوساكا) الخفية لاتُزال تعمل في كفاءة ونشاط .. دون أن تؤثر عليها النيران .

مرة أخرى حلقت الحمامة الزاجل بأعلى ..وراقبها (سامبو) في دهشة بالغة وغمغم يقول : لقد عادت الحمامة مرة أخرى دون أن تؤذيها النيران ..

وهى تُصرّ على رفقتنا برغم كل شيء .

وحطت الحمامة فوق كتف القناص .. فتطلع إليها (مراد) بعينين مقطبتين .. وكأنه يحاول استجلاء سرها ..

وأدهشه ذلك البريق الغريب في عين الحمامة اليمنى .

كان بريقاً غير مألوف .. ينعكس فوق الأضواء بشكل غريب ..

وفي لحظة أدرك القناص السر الذي حيره طويلاً .

سر اكتشاف رجال (بوساكا) لمكانه .. وكاميرته الخفية .

لم تكن تلك الكاميرا سوى عيون الحمامة اليمنى .. وقد أفرغت من مقلتها ووضع مكانها كاميرا دقيقة تمثل قمة التكنولوجيا .. بحيث تنقل صورة واضحة لكل ماتقع عليه الكاميرا الخفية ، وترسله عبر أجهزة بث اليكترونية غاية في الدقة لتلتقطه أجهزة تليفزيونية لدى (بوساكا) تكشف له بوضوح كل مايدور على البعد ..

وبواسطة توجيه الحمامة الزاجل إلى الهدف المنشود .. كان (بوساكا) يستطيع مراقبة تحركات القوات الحكومية داخل وخارج الغابات .. فيتمكن من

الانقضاض عليها في الوقت المناسب .. وفي مباغتة قاتلة ، دون أن يكتشف أحد سره الخفي .

وغمغم القناص : ياله من وغد ماكر ذلك السفاح .. فهو يجيد استخدام التكنولوجيا لصالحه بالرغم من بدائيته ووحشيته .

تساءل (سامبو) في دهشة : ماذا تقول ؟

أجابه القناص : لاعليك .. ولكن علينا الاستعداد لقتال ضاري مع رجال (بوساكا) .. فمن المؤكد أنهم اكتشفوا مكاننا قبل لحظات .. وسيمتلىء المكان بهم بعد ساعات قصيرة .

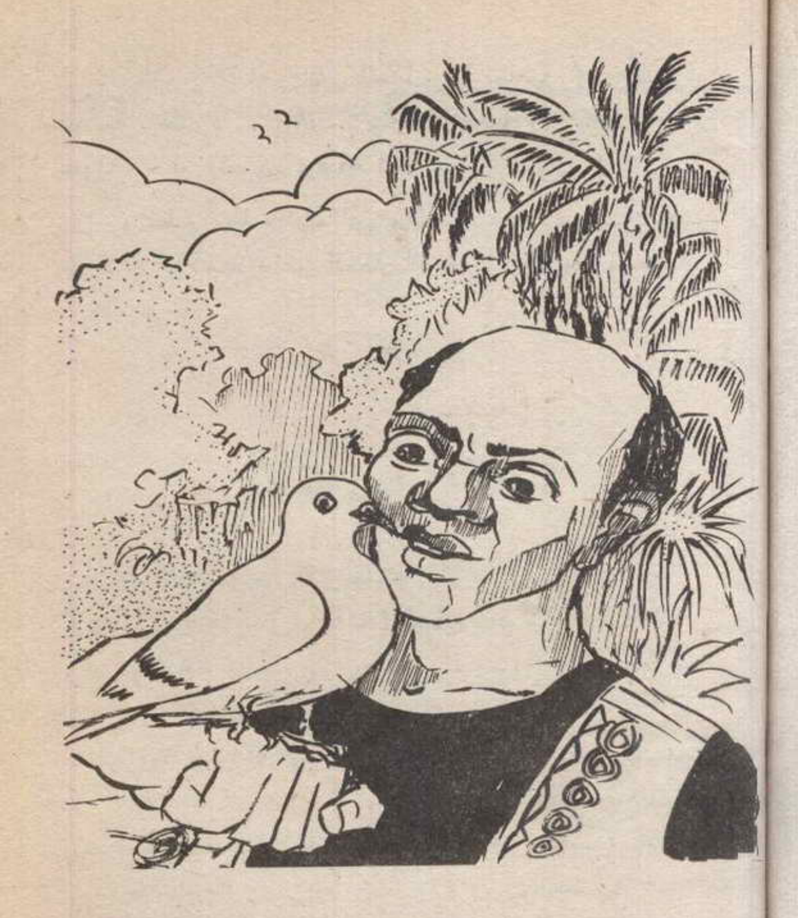
تساءل (سامبو) في حيرة :

– كيف تأكدت من ذلك ؟

أجابه القناص بسرعة وحزم :

– سأشرح لك فيما بعد .. والآن لاوقت للضياع .. فعلينا ابتكار أسلحة خاصة نواجه بها أعدائنا ، بطريقة لايتوقعونها على الاطلاق .

وقطب حاجبيه مضيفاً : ولكن قبل ذلك علينا أن نفعل شيئاً خاصاً .. حتى لايكتشف رجال (بوساكا) ماننوى أن نفاجئهم به .. ويواجهوننا بخطة مضادة تفسد مفاجآتنا .



حدق (سامبو) في عيني الحمامة واتسعت عيناه ذهولاً .

وشرع القناص في العمل و (سامبو) يراقبه في دهشة وحيرة .. وهو لايدرى شيئاً من كل مايدور حوله .. أو يقصده رفيقه الغريب الأطوار .

والطي ما كانت أي مفاجأة تأخذه على حين غرة .. أو تعجزه عن العمل المناسب بطريقة مدهشة !

★ ★ ★

المعركة قبل الفجر

وقبل الشروق ، كان القناص قد أتم عمله الشاق في براعة كعادته .. وقد وقف (سامبو) يراقبه في دهشة بالغة ممزوجة بإعجاب كبير .. وقال القناص في ارتياح : لقد اكتملت دفاعاتنا .. ولن يلبث مرتزقة (بوساكا) أن يظهروا بعد قليل ، فيلاقوا من المفاجآت مالن ينسوه بقية عمرهم .

قال (سامبو) في إعجاب بالغ : إنك أبرع شخص شاهدته في حياتي .. ولم أكن أظن أن أي إنسان في العالم يمتلك نصف مالديك من مهارة وقدرة على مواجهة أي موقف مهما كان سيئاً .

تلاعبت ابتسامة صغيرة فوق شفتي القناص .. وتساءل ماذا سيفعل رفيقه لو اطلع على سجله الحافل وأعماله السابقة ؟

وابتلع (سامبو) لعابه في توتر مواصلاً : ولكن هل تظن أن تلك الشراك الخداعية التي قمت بتجهيزها ستهزم قوات (بوساكا) بأسلحتهم الفتاكة ؟

أجابه القناص في ثقة : إنني آمل ذلك ، فعنصر المفاجأة في صالحنا ، كما أظن أنهم يرغبون في الإمساك بنا أحياء .. وهو مايعطينا ميزة أخرى في صراعنا مع هؤلاء الأوغاد .

اتسعت عينا (سامبو) بخطوف واضح وهو يقول : إنني أفضل الموت عن أن أسقط حياً في أيدي هؤلاء الزبانية .. فلديهم من وسائل التعذيب مايجعل الإنسان يتمنى لو أنه لم يولد قط .. ويشتهى الموت دون أن يناله .

قال القناص وعيناه تشردان بعيداً : لعل (بوساكا) هو الذي سيتمنى هذه المرة لو أنه لم يولد قط .. فلاشيء يبقى على حاله ..

وصمت القناص ولم يبح بكل مايدور في ذهنه ، فماكان الوقت ليسمح له بأن يعترف لـ(سامبو) بكل

أسراره .. وأنه ماخطا داخل تلك الغابة إلالهدف وحيد .

محو (بوساكا) وعصابته الجهنمية والقضاء عليهم .. لكي لاتقوم لهم قائمة بعد ذلك .. أما السبب فكان خاصاً .. خاصاً جداً .

وماكان القناص ليفشي أسراره أبداً .

خاصة إذا تعلقت تلك الأسرار بأمن وطنه .. وصالحه .

وتابع (سامبو) في حيرة أكبر للقناص قائلاً : لست أفهم لماذا قمت بربط ساقي الحمامة وسط بعض الأشجار لتحجب ما نقوم به عن عينيها .. فهي لاتمتلك القدرة على البوح بما تراه ، على أي حال .

أجابه القناص بابتسامة ساخرة : أنت على خطأ ياصديقي .. وسترى بنفسك أن إحدى عيني تلك الحمامة قادرة على أن تفشي كل الأسرار .. فهى عين خاصة جداً .

والتقط الحمامة من مكان قريب .. وعاد بها إلى (سامبو) قائلاً : تأمل عينيها وأخبرني بما ترى .

فحدق (سامبو) في عيني الحمامة .. واتسعت عيناه ذهولاً وهتف بعدم تصديق : إن إحدى عينيها تبدو

كما لو أنها ليست عيناً طبيعية وكأنها ..

قاطعه القناص : إنها كاميرا دقيقة بالفعل .. وقد جهزها (بوساكا) لتنقل له كل ماتقع عليه العين المزيفة .. وهو ماكان يجعله يكتشف مكاننا كل مرة ويبادرنا بالهجوم المباغت .

صاح (سامبو) في غضب : يالهذا الماكر المراوغ .. إن تلك العين الخفية تفسر أشياء كثيرة .. فدعني أقتل تلك الحمامة حتى يفقد هذا الوغد تلك الميزة ، ولايكتشف مانقوم به مسبقا .

ولكن القناص هز رأسه رافضاً وهو يقول : إنني في حاجة لأن تظل تلك الحمامة حية .. وأن يستعيدها (بوساكا) مرة أخرى .

تساءل (سامبو) في حيرة بالغة : ولماذا .. ماهو هدفك من ذلك ؟

وقبل أن ينطق القناص بشيء عَلَت على البعد أصوات مميزة .. أصوات سيارات جيب تقطع الطريق بسرعة ، وهتف القناص في رفيقه : هاقد أقبل أولئك الأوغاد .. فتوارى في مكان ما يا عزيزي .. فليست لك أي قدرة على القتال بتلك الساق المصابة .

فتردد (سامبو) لحظة ولكن القناص استحثه على

الاختفاء ، وادرك الأفريقي أنه سيشكل عبئاً على رفيقه ولن يستطيع مد يد المساعدة له ، فتسلق إحدى الأشجار في مهارة ، واختفى بين أغصانها نصف المحترقة ، فبدا كأنه قطعة منها .

وقفز عدد من المرتزقة شاهرين أسلحتهم .. واندفعوا محاصرين المكان وهم يتقدمون في حذر ككلاب صيد مدربة جيداً .. وفجأة برز القناص أمامهم في جرأة بالغة .

وعلى الفور اتجهت فوهات المدافع الرشاشة إلى صدره .. وصاح أحد المهاجمين في (مراد) : ارفع يديك عالياً وإلا جعلت جسدك كالمصفاة .

فأجابه القناص في سخرية : هل تخشى الاقتراب مني .. إنني بلاسلاح كما ترى .. فلماذا لاتحاول القبض عليّ ، لتتباهى بذلك فيما بعد ، وسط بقية زمرة الأوغاد من زملائك ؟

فاندفع عدد من المرتزقة نحو القناص .. وماكادوا يفعلون حتى انهارت الأرض تحت أقدامهم .. وسقطوا داخل حفرة عميقة أخذوا يتخبطون فيها وقد أخذت الأشواك التي افترشت الحفرة ، تؤلم أبدانهم وتنتزع صرخاتهم وتأوهاتهم ، فقال القناص يحدثهم ساخراً :

هذا جزاء من يدفعه التهور للاقتراب أكثر من اللازم !

شاهد (مافونجا) ماحدث لرجاله ، فصاح في الآخرين غاضباً : أنسفوا هذا الثعلب الماكر وليكن مايكون .

وماكادت أيدي رجاله تمتد إلى قنابلهم .. حتى قفز القناص نحو حبل قريب مثبت في غصن ملتوي بشدة ، فجذبه الغصن عالياً ، فطار القناص في الهواء متفادياً القنابل التي ألقيت عليه .. فانفجرت في دوي يصم الآذان دون أن تمسه بأذى .

قفز القناص فوق غصن الشجرة وجذب حبلاً آخر بجواره .. وفي اللحظة التالية اندفعت بعض الأغصان الملتوية بشدة لتلطم مهاجميه في عنف وتلقيهم على الأرض بوجوه وفكوك مهشمة ..

وسقطت بعض الحبال على أقدام آخرين لتشلهم عن الحركة وتدفعهم عالياً في الهواء ، فتدلوا من الأشجار وأقدامهم مقيدة لأعلى .. ورءوسهم لأسفل .

فقال القناص ساخراً وهو يتأمل المشهد أمامهم : كان هذا رأيي من البداية أيها الأوغاد .. فأنتم تصلحون مهرجون في سيرك ، لامرتزقة صناعتهم القتل .

ولكن من الخلف اندفعت مجموعة أخرى من

المهاجمين وهم يطلقون رصاصاتهم نحو القناص الذي احتمى خلف إحدى الأشجار ، فجعل الرصاص الشجرة تبدو مثل خلايا عش نحل لكثرة ما أصابها من ثقوب .. وأوشكت أن تتهاوى ، فقفز منها القناص إلى شجرة ثانية وثالثة في مهارة .

وصاح (مافونجا) في رجاله يأمرهم بمطاردة القناص .

واندفع الباقون نحوه في مطاردة مجنونة .. وقد تضاعف غضبهم إلى حد الانفجار .. فلم يسبق أن فعل بهم شخص ما كل ماجرى لهم في دقائق معدودة .

وكانت المباغتة مفاجئة حقاً عندما قفز القناص وسط مطارديه في جرأة لامثيل لها .. وقبل أن يفيق مطاردوه من المفاجأة .. طارت قبضة وقدم (مراد) نحو وجوه وصدور أعداءه .. وسقط اثنان على الأرض بفكوك مهشمة وأسنان منزوعة .. وارتطم آخران بشجرة عريضة وراءهما فكان لصوت اصطدام رأسيهما بالشجرة دوي كالقنابل وتهاويا أمامهما بلاحراك ، وهوى القناص برأسه فوق جبهة ثالث .. فجعله يرى أضواء لامعة متراقصة في قلب الظلام .. قبل أن تتلقفه الأرض في عنف وغيبوبة ..

واندفعت مجموعة أخرى إلى المكان وهى تطلق سيلاً من الرصاص .. ولكن القناص اختفي في غمضة عين كأن الأرض انشقت وابتلعته .. أو كأنه طار في الهواء .. ولم يكن الاحتمالان على استحالتهما .. يمثلان الحقيقة .. التي كانت أبسط من ذلك كثيراً .

وصرخ (مافونجا) في جنون وهو يحتمى أمام شجرة ضخمة : أين اختبأ ذلك الشيطان ؟ إنه يبدو وكأنه ليس من البشر .. فطوال حياتي لم أصادف رجلاً له مثل تلك الشجاعة والجرأة المجنونة .

وجاء صوت من الخلف يقول في تهكم قاسي : شكراً لك على ذلك المديح أيها الوغد .. بالرغم من أنني عادة لا أتأثر بالمديح الذي يأتيني من الأوغاد .

استدار (مافونجا) ذاهلاً من المفاجأة .

كان واثقاً قبل لحظة إنه يقف وليس وراءه غير الشجرة العريضة التى يحيطها رجاله من كل مكان .. ولكن ماكادت عيناه تقعان على غريمه حتى ادرك السر في ظهوره المفاجىء . كان القناص واقفاً في قلب الشجرة .. التي شق في قلبها فجوة كانت كافية ليختفى فيها شخص ناضج ، ليظهر بمثل تلك الطريقة المفاجئة ، وقبل أن ينطق (مافونجا) بشيء صاح

القناص به : إن منظرك البائس وفكك المفتوح عن آخره ليذكرني بأحد قرود الشمبانزي التي قابلتها قبل قليل .. ومن سوء حظك أيها القذر أنني لا أميل لتلك القرود الضخمة الغبية ، وأحاول إزاحتها عن طريقي بطريقة ليست ودية .. كهذه الطريقة .

وطارت قبضة القناص نحو وجه (مافونجا) وأتبعها بركلة من قدمه جعلت قائد المرتزقة يرتفع عن الأرض لمسافة متر ، قبل أن يهوى فوق أحد رجاله ويسقط الاثنان على الأرض ، وعندما أفاق الباقون من المفاجأة وامتدت أيديهم إلى أسلحتهم .. كان القناص قد طار في الهواء أمام أعينهم .. وقد بدا في قلب الظلام وكأنما نبتت له أجنحة .

وفي الواقع فإنه كان قد استخدم حبلاً أعده بمهارة بواسطة رافعة خاصة لكى يرتفع في الهواء بمثل تلك الطريقة وانهمر الرصاص على القناص دون أن تصيبه إحداها .

ومن مكانه أخذ (سامبو) يراقب القتال الدائر بعينين متسعتين عن آخرهما وضوء القمر الوليد يبدد الكثير من عتمة المكان ، ويجعل الرؤية أكثر وضوحاً .. ومتعة !

كان قد شاهد الكثير من مفاجآت القناص ومهارته .. ولكن ماكان يدور حوله في تلك اللحظات

كان شيئاً مختلفاً بكل تأكيد .

وابتلع (سامبو) لعابه في ذهول بالغ وهو يقول لنفسه : لو أنني لم أشاهد مايدور حولي بنفسي ، وأتأكد من أنه حقيقة ، لقلت إنه حلم أو خيال .

وترنح (مافونجا) وجاهد ليقف فوق ساقيه ، وبصق بعض أسنانه المهشمة ، وأصابه منظر دماءه بجنون .. فصرخ في رجاله في هيستريا : أريد رأس هذا الرجل مثقوبة بألف رصاصة .. نقبوا عنه في كل شبر ولاتعودوا بدونه .

وجاءه صوت القناص من مكان قريب مرة أخرى مجيباً : سأوفر على رجالك مشقة البحث أيها الوغد .. وأعلن لمن يستطيع إصابتي أن أمنحه بعض الحلوى كمكافأة ، فلعلهم لايجيدون عملهم إلا بعد الحصول على رشوة .

ولم يكن رجال (مافونجا) في حاجة لمن يطلب منهم حصد رأس ذلك الشيطان ذي اللهجة الساخرة ، وسرعان ماكانت رصاصاتهم تشق طريقها إلى حيث يختفي القناص في قلب تلك الشجرة .. بعيداً عن الأنظار ..

وجزّ (مافونجا) على أسنانه وهو يراقب

الرصاص المنهمر نحو مكان القناص قائلاً : إنه لن ينجو هذه المرة .. ولو كان يختفى خلف دروع من الصلب .

وفي الواقع فقد كان (مافونجا) على خطأ في ظنه .. ولعل السبب كان راجعاً إلى جهله بتلك الغابات .. وطبيعة سكانها .. وعاداتهم الأثيرة .. وهو خطأ جسيم لرجل بلاضمير ، احترف بيع سلاحه بالمال .. والقتل بلارحمة أو شفقة .

فلم يكن اختيار القناص لتلك الشجرة بالذات مجرد مصادفة ، ولاكان إعلانه عن نفسه بمثل تلك الطريقة تهوراً غير محسوب ..

كانت شجرة جوز هند ، تلك التي تعلق القناص بغصنها .. وكان يسكنها شمبانزي ذو طبيعة خاصة كان قد راح يراقب المعركة الدائرة بأسفل في كسل واسترخاء غير عابىء بها .. مادامت لم تمسه بأذى ..

ولكن انهمار الرصاص نحوه بتلك الطريقة المفاجئة أصابه بغضب . غضب يتناسب مع كونه زعيماً لقرود الشمبانزي في ذلك المكان !

وأطلق القرد صرخة حادة أعلن بها غَضبه لذلك الاعتداء .. وكأنه يوجه صرخته إلى أبناء عشيرته

الذين ماكانوا ليتجاهلوا غضب زعيمهم ..

وشرع الزعيم في الرد على الاعتداء بالوسيلة الوحيدة المناسبة التي يجيدها .. فالتقط ثمرة جوز هند من الشجرة نصف المحترقة وألقاها نحو مهاجميه ..

وكأنما كان بقية أبناء عشيرته ينتظرون تلك الإشارة ليعلنوا عن وجودهم وللانتقام من أولئك الأشرار الذين أفسدوا غابتهم .. فانهالوا بثمار جوز الهند نحو المهاجمين بأسفل وكأنهم في مباراة مجنونة .

وأصابت الثمار القاسية أهدافها .. وكان من المستحيل التصدى لها بالرصاص أو القنابل والثمار الثقيلة تلطم الصدور وتشج الرءوس كأنها حجارة صلدة .. فصاح (مافونجا) في رجاله ، أو ماتبقى منهم بلا إصابة وهو يعدو هارباً من ذلك الجحيم : أسرعوا بالعودة إلى السيارات !.. فلا قِبَلَ لهم بالتصدى لذلك الهجوم المجنون .

ولم يكن رجاله في حاجة لمثل ذلك الأمر .. فقد هرعوا هاربين بأنفسهم تطاردهم قذائف جوز الهند ، وقد اندفعت قرود الشمبانزي خلفهم ، تلطمهم في عنفٍ دام ، وتطيح بهم من داخل سياراتهم على الأرض في قسوة .

واستمر الصخب والضجيج لوقت وبقية الشمبانزي تتبارى في قذف الثمار دون هدف بعد هروب أعدائهم .. ولم يوقفها سوى خلو الأشجار من الثمار التي افترشت الأرض في مشهد غريب .

وأعلن زعيم الشمبانزي رضاءه بالنتيجة .. فأطلق صيحة ابتهاج رددها اتباعه .. قبل أن يتفرقوا فوق الأشجار وقد أدوا مهمتهم على خير وجه .

راقب القناص من مكانه ماجرى باسماً : كانت ملاحظة ذكية أن استطاع التعرف على زعيم الشمبانزي .. وقد خطط للاستفادة من ذلك بطريقة مبتكرة . طريقة لايمكن لمقاتل آخر استخدامها .. سواه .

وكثيراً ماكسب القناص معاركه .. بحيلة بسيطة ماكرة .. أو بملاحظة دقيقة ، تغلب بها على أعدائه مهما كان عددهم وعدتهم .

وقفز القناص إلى الأرض بطريقة بارعة .. وأحس بخطوات تقترب منه من الخلف ، واستدار في بطء فواجهته عينا (سامبو) وهى تتفحصانه في صمت وتقطيب وكأن آلاف الأسئلة تدور في ذهنه .

وغمغم (سامبو) بعد لحظة للقناص : لو أخبرني

إنسان عما فعلته الآن لاستحال عليّ تصديقه .. ولست في حاجة لأن أقول لك أنك شخص غير عادي .. شخص لم ولن أصادف مثله في حياتي .. فأخبرني من تكون أيها الرجل .. وما الذي أتى بك إلى تلك الغابات حقاً ، ولاتخبرني أنها مجرد مصادفة ، أو أنك سائح عادي أراد الحصول على بعض الإثارة داخل تلك الغابة .

أجابه القناص في هدوء : فلنقل إنني رجل يحاول خدمة وطنه بالطريقة التي يجيدها ، ضد رجل طالما أثار المتاعب لبلادي ، دون أن تطوله يد العقاب لسنوات طويلة .

تساءل (سامبو) بوجه مقطب : وماهو وطنك أيها البطل ؟

- (مصر) التي هى جزء من الوطن العربي الكبير .

نطق بها القناص في فخر واعتزاز وقد بدا أن للعبارة رنين ووقع خاص في صدره ، وأومأ (سامبو) برأسه مغمغماً : أنتَ مصري وعربي إذن .. لقد فهمت الآن لماذا رفضت أن تتخلى عني وجازفت بحياتك لإنقاذي في شهامة لامثيل لها ، وكيف تؤدي عملك البطولي بتلك المهارة والبطولة .

وصمت لحظة ثم أضاف في تأثر : إنني محظوظ دون شك لأرافقك في تلك الرحلة و ..

وبتر (سامبو) عبارته في نفس اللحظة .. عندما علا صوت مميز شق صمت الغابة وسكونها ..

صوت لايمكن أن تخطئه الأذن أبداً ..

واندفعت طائرة هليكوبتر من أعلى وهى تطلق سيلاً منهمراً من الرصاص الذي راح يفترش الأرض كحبات المطر لكثرته .

وصاح القناص في (سامبو) : ألقي بنفسك على الأرض واحتمى بأي شجرة قريبة ودعني أتعامل مع ركاب هذه الطائرة وحدي .

ولكن الوقت لم يتسع لرفيقه لأن يفعل شيئاً ..

ففي اللحظة ذاتها أطلق صرخة عالية وسقط على الأرض يتلوى من الرصاصات التي أصابت ساقه المصابة وأعجزته عن الحركة .

شاهد القناص ماجرى لرفيقه فصاح في غضب عارم : لسوف أنتقم لك أيها الرجل ..

والتقط أحد مدافع المرتزقة الهاربين وقفز إلى ساحة مكشوفة وأخذ يطلق الرصاص من مدفعه كالسيل نحو الهليكوبتر التي اندفعت نحو القناص وكأنها وحش

يوشك أن ينقض على فريسته دون رحمة .

وفرغ الرصاص من مدفع القناص في لحظة غير متوقعة .

وفي اللحظة التالية شعر بشيء ثقيل يسقط فوقه .. كانت شبكة لصيد الوحوش .. أطبقت عليه فاستحال الفكاك منها .

وفي اللحظة ذاتها ارتفعت الهليكوبتر عالياً بأسيرها المقيد داخل الشباك .. وقد بدا القناص عاجزاً عن الفكاك من الشرك الذي أحاط به .

لقد انتصر السفاح أخيراً .. وأسقط البطل في شباكه .. كوحش جريح !!

★ ★ ★

انتقام السفاح

أخذ (بوساكا) يتفرس في القناص بعينين ضيقتين أشبه بعيون الحيات السامة ، وارتسمت في عينيه نظرة كراهية عميقة ، فبادله القناص النظرات في صمت ، دون أن تختلج عضلة واحدة في وجهه ؛ بالرغم من عشرات المرتزقة والإرهابيين الذين أحاطوا به بمدافع رشاشة مصوبة إلى قلبه ، ولعق (بوساكا) شدقيه بلسان خشن مقزز ، فبدا كذئب متوحش وهو يقول للقناص : لقد سببت لنا الكثير من المتاعب أيها الرجل .. وأفقدتنا بعض من أفضل رجالنا .. وحتى

(مافونجا) يبدو مهتاجاً ثائراً يرغب في الانتقام منك ، ولم يفعل به أي إنسان مثل ذلك من قبل أبداً .. ليس هذا فقط .. بل أنك كنت أمكر مما ظننا .. واكتشفت عين الحمامة الخفية ، وبدهاء أخفيت عنا ذلك ورحت تعد لنا شركاً قاتلاً وسط الغابات .

رمقه القناص ساخراً وهو يقول : لست وحدك من يجيد نصب الفخاخ وصنع الشراك .

زوى (بوساكا) مابين حاجبيه قائلاً :

- أعترف لك بذلك .. وأنني أُبدى إعجابي بك .. فعلى كثرة ماتعاملت مع رجال من كل الأصناف ، فإنني لم ألتق بشخص له مثل مهارتك وقوتك .. وهو مايدفعني لأن أتساءل عمن تكون حقيقتك ، وما الذي دفعك لدخول الغابة ، ومصاحبة رجل كـ(سامبو) ، وأنتما على النقيض تماماً ؟

أجابه القناص في تهكم واضح :

- لماذا لاتأتي بأحد هؤلاء السحرة الذين كنت تستعين بهم من قبل ، ليجيبوك عن هذا السؤال ، بدلاً من إضاعة الوقت معي في طرح أسئلة لن تحصل على إجابة لها أبداً .

اكتسى وجه (بوساكا) بغضب حار وهو يقول :

لقد أطحت برقابهم جميعاً .. لأن أحداً منهم لم يكتشف ماحدث لي مبكراً لاحتاط له .

وراقب (بوساكا) القناص في مكر ، ومط شفتيه مرة أخرى قائلاً : إنك ترفض الإجابة عن سؤالي ..

وليس هذا مهماً الآن .. فلدي من الوسائل مايجبر حتى الشيطان ذاته على أن يُقرَّ بالحقيقة .. ولايزال أمامنا بعض الوقت على أي حال .. لإقناعك بالحديث ولكن هناك أمر يدهشني .. وهو التصاق الحمامة الزاجل بك طول الوقت ، بالرغم من أنها في العادة ، كانت تحمل رسائلي دون أي تأخير .. ولكن ماجرى معك كان عجيباً وغير مفهوم بالمرة .

جاوبه القناص بنفس اللهجة الساخرة :

- لعلها ملت من وجوهكم القبيحة .. فرأت أن تجرب شيئاً مختلفاً .

جزّ (بوساكا) على أسنانه في غضب وحشي ورفع سبابته في وجه القناص وهو يهدر قائلاً : إنك تتمادى أيها الشاب في وقاحتك .. وهو مايجعل حسابك عسيراً .. بل عسير جداً .

تجاهل القناص تهديد (بوساكا) ، وقال : إذن فقد كنت تستغل تلك الحمامة الزاجل في نقل رسائلك إلى

بقية رجالك المنتشرين في أرجاء البلاد ، حتى لاتضطر لاستخدام الاسلكي ، لما يحمله ذلك من مخاطر التقاط القوات الحكومية لرسائلك اللاسلكية وكشف أسرارك .

تلاعبت نظرة ماكرة في عيني السفاح وقال :

- هذا صحيح .. ولحسن الحظ أن رصاصاتنا وقنابلنا لم تصبها أثناء الهجوم .. فهي تحملِ رسالة هامة إلى رجالي وقد أخفيناها في كبسولة صغيرة أسفل جناحها .. حتى لايكتشفها أي إنسان إذا ماوقعت الحمامة في يده مصادفة كما حدث معك .

قال القناص مداهناً لإغراء السفاح على كشف بقية أوراقه :

- إنني أعترف لك بالبراعة أيها الرجل .

بدا (بوساكا) سعيداً بالإطراء ، وواصل قائلاً :

- وتلك الرسالة التي تحملها الحمامة الزاجل هى أهم رسالة على الاطلاق .. فعليها تتوقف أشياء كثيرة في استعادتي للحكم .. فقد أخبرني أصدقائي بوصول شحنة أسلحة ضخمة لنا قد تم تهريبها إلى داخل البلاد عبر الحدود المفتوحة .. ولاينتظر رجالي سوى أن تصلهم رسالتي التي تحدد لهم مكان تلك الأسلحة

المتطورة في العاصمة وماإن يحصلوا عليها حتى يشنون حرباً ضارية على القوات الحكومية ويبيدوها عن آخرها .

مط القناص شفتيه وهو يقول :

- لاتكن واثقاً هكذا أيها الرجل .. فالرياح لاتأتي دائماً بما تشتهيه السفن .. ولايصح لك بيع جلد الدب قبل صيده .

أطلق (بوساكا) ضحكة عالية ساخرة ارتج لها كرشه ، وهو يقول : هذه كلها أقوال وأمثال بلهاء .. فكل شيء مرهون بالقوة .. ومتى امتلكتها أمكنك أن تفرض إرادتك وأن تجعل الرياح تهب كما تشتهى السفن .. وأن تبيع جلد الدب من قبل أن تراه أو تشم رائحته !

والتمعت عيناه ببريق دامي وهو يضيف : ولسوف أريق في هذه البلاد من الدماء ، ماهو أكثر من مياه الأنهار والأمطار .. ولسوف يدفع كثيرون الثمن وأولهم أنت أيها العربي .

وأشار إلى رجاله صائحاً : اطلقوا الحمامة الزاجل إلى رجالنا في العاصمة .

فأطلق (مافونجا) الحمامة في الهواء ، فحلقت عالياً ثم انطلقت بسرعة إلى وجهتها .. وراقبها

(بوساكا) بوجه وحشي من السرور ، ثم التفت إلى القناص قائلاً : سوف تصل الحمامة إلى هدفها وقت الغروب .. ومتى انتصف الليل سيكون رجالي قد حصلوا على الأسلحة الجديدة .. وفي الغد سينفجر الجحيم في هذه البلاد .. ولن يتوقف إلا إذا استعدت ما فقدته .. وصِرتُ الرجل الأول في هذه البلاد ، وأعترف لك أنك محظوظ حقاً ، لأنني أرغب في أن تظل حيا حتى تشاهد بعينيك عودتي إلى العاصمة ظافراً غانماً .

أجابه القناص ساخراً : إن هذا معناه أن يمتد بي العمر لعشرات السنين .. وربما أموت من الشيخوخة قبل أن أرى هذه اللحظة .

جزّ (بوساكا) على أسنانه قائلاً : أنت واهم أيها الشاب .. فهذا الأمر قريب جداً .. أقرب مما يظن أي إنسان .

وأشار إلى رجاله صارخاً : خذوا هذا الأسير إلى الزنزانة .. وعليكم بحراسته باستمرار .. فإنه شخص خطر جداً .

فانقض عدد من الحراس على القناص واقتادوه إلى زنزانة عبارة عن حفرة متسعة تحت الأرض ، يغطيها سقف من أعواد الخوص الغليظة ، وقد وقف

عليها للحراسة مالايقل عن نصف دستة من المسلحين .

واقترب أحد رجال (مافونجا) من السفاح قائلاً في تقطيب : يخيل إليّ أنني أعرف حقيقة ذلك السجين ياسيدي .

هتف (بوساكا) في لهفة : من هو .. أخبرني في الحال ؟

أجابه الرجل في قلق بالغ :

- إنه أحد رجال المخابرات المصرية .. بل لعله أبرعهم جميعاً .. وهم يلقبونه بالقناص .

غمغم (بوساكا) في دهشة : القناص ؟

واصل الرجل قائلاً في لهفة وسرعة : إنه رجل يثير اسمه الاحترام والتقدير في كل أجهزة المخابرات العالمية .. وإذا ما انطلق في مهمة .. فهو مايعني أنه سينجح فيها دون شك مهما كانت المخاطر والصعوبات التي تواجهه .

غمغم (بوساكا) في توتر :

- وهل كان وجوده في تلك الغابة مجرد مصادفة .. أم أنه ..

هتف (مافونجا) قائلاً : يخيل إليّ أنه جاء يسعى

خلفك أيها الامبراطور .. فلا تنسى أن بعض معسكراتنا كانت تضم عدداً من الإرهابيين الذين اطلقناهم في عمليات تخريبية في (مصر) ، بعد أن رفضت الحكومة المصرية تسليمك عدداً من معارضيك ، عندما كنت لاتزال حاكماً لبلادك .

ضاقت عينا (بوساكا) إلى أقصى حد .. واطلق أنفاساً كالفحيح .. وغمغم في صوت وحشي : إذن فالأمر هكذا .. كأنما لم تكفني المتاعب التي واجهتها .. ليأتي هذا المصري يسعى خلفي لاقتناصي .. ولكنه لن يعيش طويلاً ليتمتع بما فعله .. فما أن ينجح رجالي في تسلم الأسلحة الجديدة .. حتى أغمد بنفسي في صدره حربة مسمومة تخترقه حتى الجانب الآخر .. وبعدها سنرسل رأسه في صندوق إلى الحكومة المصرية .. مع تعازينا الحارة .. ليعرفوا كيف يكون انتقام الامبراطور !

واطلق (بوساكا) ضحكة وحشية ارتج لها بدنه .. وشاركه (مافونجا) ورجاله الضحك .. وقد بدوا جميعاً كقطيع من الذئاب .. يعوون بصوت مخيف ، قبل أن ينقضوا على الفريسة التي ساقها سوء حظها بين مخالبهم الرهيبة .

★ ★ ★

ادرك (سامبو) أنها النهاية وهو ملقي على الأرض دون حراك منذ ساعات .

التهبت الشمس في كبد السماء.. وساقه الجريحة تنزف الدماء بغزارة وهو لايستطيع حتى لمسها ..

وسمع صوت زئير نمر قريب ..

كانت النهاية دون شك .. ولم يكن يملك من القوة مايغمض به عينيه حتى لايشاهد نهايته التعسة .

ولكن مابين اليقظة وفقدان الوعي .. شاهد ماهو أشبه بالحلم .. كانت ثمة سيارة للقوات الحكومية وبداخلها بعض الجنود المدججين بالسلاح .. وقد راحت السيارة تقترب وتقترب .. فانطلق النمر الجائع هارباً .

ورفع (سامبو) يده ملوحاً للقادمين ولكن قوته خانته فتهاوى على الأرض فاقداً الوعي .. وعندما تنبه واستعاد وعيه .. وجد نفسه ممدداً فوق فراش ناعم وقد بدت الحجرة التي يرقد فيها كأنها في إحدى المستشفيات .

وانفتح الباب وظهر قائد الجيش في مدخله .. ولم يصدق (سامبو) عينيه .. كان الأمر أشبه بحلم ..

ولكن صوت القائد جعله يفيق من أوهامه ، وهو

يقول : أنت محظوظ أيها الرجل .. لقد ضلت إحدى دورياتنا الطريق داخل الغابة .. وعثرت عليك مصادفة فتم نقلك إلى هذه المستشفى .. وقد سمعك بعض رجالي تثرثر في هذيانك عن (بوساكا) ورفيقك والمعارك التي دارت مع قوات السفاح في الغابة .. وهو مادعاني لأن آتي وأراك بنفسي ، فلعل لديك من المعلومات مايهمنا .

صاح (سامبو) في لهفة : لقد طاردتنا قوات (بوساكا) وخاض رفيقي معركة ضدها فأصاب العشرات منهم .. ولكنهم نجحوا أخيراً في اختطافه إلى مقرهم داخل الغابات .

تساءل القائد في لهفة شديدة :

– وأين يختفي (بوساكا) ورجاله داخل الغابات ؟

غمغم (سامبو) في حيرة قائلاً :

– لست أدري ياسيدي .. ولكن في إمكانك التدخل بقواتك لإنقاذ ذلك البطل المصري من أسرَ (بوساكا) وتفتيش الغابات و...

قاطعه القائد في حزم قائلاً : هل جننت أيها الرجل .. هل تريد أن يتعرض رجالي لمذبحة داخل الغابات من رجال (بوساكا) كما فعلوا بهم من قبل ؟

شحب وجه (سامبو) وهو يقول :

– ولكن ياسيدي .. أن ذلك الشاب في محنة ولسوف يقتله (بوساكا) و..

قاطعه القائد مرة أخرى قائلاً : لو أن ذلك المصري استمع لتحذيري لما لاقى تلك النهاية على أيدي السفاح ورجاله .. فقد نصحته بالعودة من حيث جاء ولكنه لم يمتثل لنصيحتي .

وغمغم بعد لحظة مضيفاً : لقد اختار ذلك الشاب نهايته بيديه .. وعلى الحمقى أن يتحملوا ماتجلبه لهم حماقتهم من متاعب .. ونهاية دامية !!

أطرق (سامبو) برأسه في حزن مرير ..

وانحدرت دمعتان من مقلتيه ..

كانت المرة الثانية التي يبكي فيها في حياته كلها ..

وكانت الأولى يوم وفاة ابنته ..

وكانت دموعه تلك المرة إعلاناً بالمصير الذي ينتظر القناص .. دون أن تكون هناك قوة في العالم قادرة على إنقاذه !

★ ★ ★

الخدعة الأخيرة

حلقت الحمامة الزاجل فوق المعسكر الذي اختفت أكواخه الصغيرة وسط بعض التلال على مشارف العاصمة .

كان ثمة عدد من المرتزقة يؤدون تمارين رياضية وآخرون يتدربون على اطلاق النيران .. في حين كان فريق ثالث يقوم بملء خزانات الوقود لعدد من السيارات داخل أحد الكهوف على مقربة ، وقد أوشكت الشمس على الغروب .

دارت الحمامة دورتين ثم هبطت على مقربة .. وشاهدها أحدهم فصاح : لقد عادت الحمامة الزاجل .. لاشك أنها تحمل رسالة من الامبراطور بمكان الأسلحة الجديدة .

صاح قائد المعسكر (كوت) : ءأتوني بتلك الحمامة بسرعة فقد تأخرت في الوصول بما فيه الكفاية .

وامتدت أكثر من يد نحوها .. وانتزعت الكبسولة المخفاة أسفل جناحها الأيسر .. وفي لهفة فتح (كوت) الكبسولة .. واستخرج منها قصاصة ورق صغيرة راح يتطلع إليها ، ثم اطلق ضحكة عالية صاخبة وهو يقول : إن الأسلحة توجد بداخل أحد المباني في قلب العاصمة والمكان قريب لن يستغرق أكثر من نصف ساعة للوصول إليه .

فتساءل أحد معاونيه : هل نستعد للرحيل في الحال ؟

هز (كوت) رأسه نافياً وقال : لا .. سوف ننطلق للحصول على الأسلحة عند منتصف الليل ، لكي لاترصدنا إحدى دوريات الشرطة أو القوات الحكومية .. فنحن لانريد الإعلان عن أنفسنا قبل الحصول على تلك الأسلحة .. وبعدها ..

واطلق ضحكة أخرى صاخبة شاركه فيها رجاله ..

★ ★ ★

وعند منتصف الليل تماماً تحركت السيارات في سكون وسط الظلام ، وقد بدت مثل حية تتلوى وتزحف على الأرض استعداداً للانقضاض على شخص ما ، وتجنب (كوت) الطرق التي يمكن أن تصادفه فيها أي قوات حكومية ، وأخيراً لاح المبني المقصود من بعيد .. وهتف (كوت) فى رجاله : سوف نتسلل إلى الداخل ونفرغ المبني من الأسلحة سريعاً .

أومأ رجاله برءوسهم موافقين .. وتركوا أسلحتهم داخل سياراتهم ليكونوا أخف في حركتهم .

واندفعوا في سرعة نحو المبنى ..

ولكن أحد الجنود برز من بوابة المبنى ، وحدق في المشهد أمامه ذاهلاً وغمغم يقول بعدم تصديق : إلى أين يمضى هؤلاء الشياطين من أعوان (بوساكا) .. وهل صارت جرأتهم بمثل ذلك الحد ليقتحموا هذا المبنى بالذات ؟

واطلق دفعة رصاص نحو مهاجميه الذين أصابهم الهجوم بالشلل المفاجيء .. واجتذبت طلقات الرصاص أسماع جنود آخرين خلف المبنى .. سرعان ماكانوا

يشاركون في اطلاق الرصاص أيضاً ، أمام صيدهم السهل .

وصرخ (كوت) في رجاله : أسرعوا إلى السيارات .. إنه كمين فيما يبدو .

ولكن الوقت لم يتسع للمرتزقة لأن يفعلوا شيئاً .. ولا النجاة بأنفسهم .

وسرعان ماكانت القوات الحكومية تطبق على المهاجمين وتشل حركتهم ، وأخذ قائد القوات الحكومية يحدق في المهاجمين بدهشة بالغة ، وغمغم يقول : ترى أي جنون دفع جنود (بوساكا) للهجوم على مبنى وزارة الدفاع في البلاد ؟

★ ★ ★

أخذ (بوساكا) يذهب ويجيء أمام كوخه الفاخر في مقدمة صفوف بقية الأكواخ ، وقد أصابه توتراً بالغاً .. وتفصدت جبهته بالعرق تحت أشعة الشمس اللاسعة في قلب السماء ..

تجاوز الوقت منتصف النهار .. وكان مفترضاً أن تعود الحمامة الزاجل حاملة له آخر الأنباء قبل ساعات .. لكي يبدأ رجاله هجومهم الأخير بالأسلحة التي حصلوا عليها . واقترب (مافونحا) من

(بوساكا) الذي قال له : لقد بدأ الأمر يقلقني .. أن هذا التأخير غير عادي .

وفجأة صاح أحد الرجال : لقد عادت الحمامة الزاجل .

تطلع (بوساكا) في لهفة لأعلى .. وهبطت الحمامة الزاجل أمامه ، فأمسك بها في خشونة ، وانتزع الكبسولة من أسفل جناحها وفتحها في عنف .

واتسعت عيناه ذهولاً .. كانت الكبسولة تخلو من أي رسائل ، وغمغم (بوساكا) غير مصدق : هذا مستحيل .. لماذا لم يبعث لنا بقية الرجال بأخبار حصولهم على الأسلحة ؟

فجأة صرخ أحد الرجال : هناك طائرة هليكوبتر حكومية تقترب من معسكرنا .

وصرخ آخر : بل هما طائرتان .

وصاح ثالث : إنهم ثلاث طائرات .

وصاح رابع : هناك رتل من سيارات الجنود الحكومية قادمة في اتجاه معسكراتنا .

صرخ (بوساكا) في جنون : إنها خدعة .. لقد اكتشف أولئك الأوغاد مكاننا .. أسرعوا إلى أسلحتكم وقاوموا حتى الموت .

وماكاد (بوساكا) ينهي عبارته حتى دوي انفجار قنبلة سقطت من أعلى .. فألقي بنفسه على الأرض بوجه معفر وقد استقرت بعض الشظايا في ذراعيه ..

وفتح الجحيم أبوابه في اللحظة التالية ..

وانفجرت القنابل هنا وهناك لتنسف الأكواخ وتحيلها إلى شعلة من النيران .. ودوت أصوات طلقات الرصاص المنهمرة كالمطر تصم الآذان .

كان عدد الجنود الحكوميين يفوق أعوان (بوساكا) .. وكانت أسلحتهم أقوى وأشد فتكاً ..

وغمغم (بوساكا) في ذهول : إنها أسلحتنا الجديدة .. لقد استولت القوات الحكومية عليها .. ولكن هذا مستحيل .. فكيف اهتدوا إلى مكانها ؟

وادرك السفاح أن المعركة لن تسير في صالح رجاله .. الذين بدأوا يتساقطون أو يهربون ..

وكان هناك أمل وحيد له ..

واندفع (بوساكا) نحو طائرته الهليكوبتر المخفاة في جانب المعسكر .. وهناك شاهد (مافونجا) وهو يوشك على الفرار بها ، وصرخ (بوساكا) في غضب وحشي : توقف أيها الوغد .. إنني ما استغننت بخدماتك لتهرب فى الوقت الذي يتضاعف فيه احتياجي لك .

وأخرج خنجراً مسموماً من غمده وطوح به في

الهواء فاستقر في عنق (مافونجا) في اللحظة التي ضغط فيها على جهاز رفع الطائرة عن الأرض .

وأصاب الخنجر هدفه في عنق (مافونجا) الذي جحظت عيناه ومالت رأسه .. في الوقت الذي بدأت فيه الطائرة ترتفع لأعلى في غير انتظام ..

وصرخ (بوساكا) في غضب .. في اللحظة التي بدأت الهليكوبتر تدور حول نفسها .. ثم تهاوت على مقربة وانفجرت في صوت مدوي .

أوشك (بوساكا) أن يُصاب بالجنون لكل ما يحدث حوله .. وغمغم وهو يرتجف بوجه محتقن : لقد أصابتني لعنة ما .. هذا أمر لاشك فيه وإلاماجرت كل تلك الأحداث وقد كنت أوشك على تحقيق هدفي .

وجاء صوت من الخلف في سخرية قاسية يقول : أنت مخطيء أيها الرجل .. فقد اختلفت الأمور عندما وضع شخص مايده في خططك القذرة فانقلبت رأساً على عقب .

استدار (بوساكا) في ذهول ..

كان القناص واقفاً أمامه وفوق شفتيه تلك الابتسامة الساخرة الهازئة .. ولم يكن من شك أن انقلاب الأمور كان راجعاً إليه وحده .

غمغم (بوساكا) بشفتين يابستين : أنت .. كيف غادرت سجنك ؟

هز القناص كتفيه بلا مبالاة قائلاً :

- لقد انفجرت قنبلة ما على مقربة فأطاحت بنصف الحراس .. وتكفلت أنا بالباقين .. وقد كان سهلاً خروجي من ذلك السجن منذ البداية .. ولكنني كنت أنتظر اللحظة المناسبة لذلك .. عند وصول القوات الحكومية .

اتسعت عينا (بوساكا) في ذهول أشد متسائلاً : هل كنت تعلم بوصول هذه القوات واقتحامها لمعسكراتنا ؟

أجاب القناص :

- بل أنني من خطط لذلك .. وكان تخطيطي من الدقة بحيث أن سيناريو الأحداث جاء دقيقاً تماماً .. ففي الغابة وقبل أن اندفع عامداً لكي يأسرني رجالك داخل الشباك للوصول إلى معسكرك واكتشاف مكانه وسط الغابات .. قمت باستبدال رسالتك داخل جناح الحمامة الزاجل .. ومزقت رسالتك التي تحدد مكان الأسلحة الجديدة ووضعت بدلاً منها قصاصة ورق صغيرة أعطاها لي قائد القوات الحكومية دون قصد .. وهى تحمل عنوان قيادة هذه القوات .. وكنت أنت من

الغفلة والغرور بحيث لم تراجع رسالتك أو تتيقن من وجودها ، وأطلقت الحمامة الزاجل إلى رجالك الذين هرعوا لمبنى قيادة القوات الحكومية دون أن يدركوا بالشرك الذي ينتظرهم هناك .. فكان أن هاجمتهم تلك القوات وأسرَتهم .. وبعدها وكما توقعت فكر قائد القوات الحكومية في أن يعيد اطلاق الحمامة الزاجل لتعود إلى معسكرك وتتبعها بواسطة الطائرات الهليكوبتر وجنوده .. وقد أفلحت خطته كما ترى .

جزّ (بوساكا) على أسنانه في حقدٍ هائل .. وواصل القناص في هدوء : ومنذ البداية كان عليّ اجتذاب الحمامة الزاجل التي كنت أعرف أنك تبعث برسائلك لرجالك بواسطتها .. فكان أن ابتكر أحد الرجال في المخابرات المصرية جهازاً خاصاً يعمل بالموجات المغناطيسية لاجتذاب الحمامة الزاجل التي تتبع هذه الموجات ، وهو مايفسر لك سر هبوطها نحوى في الغابات والتصاقها بي طوال الوقت ، وعدم اتمام رحلتها وهى تحمل رسالتك الأصلية إلى رجالك .. فهذه هى خدعتي الأخيرة التي أخفيتها عنك .. ولطالما نصحتك ألا تبيع فراء الدب قبل صيده ولكن غرورك أبَى أن يجعلك تستمع لي .

ارتعدت شفتا (بوساكا) وقال في صوت كالفحيح :

- أيها الشيطان .. لماذا فعلت بي كل ذلك .. كان يمكنك الوقوف في صفي وأن تحصل على الملايين .. وربما تصير وزيراً أو قائداً للجيش تحت قيادتي .

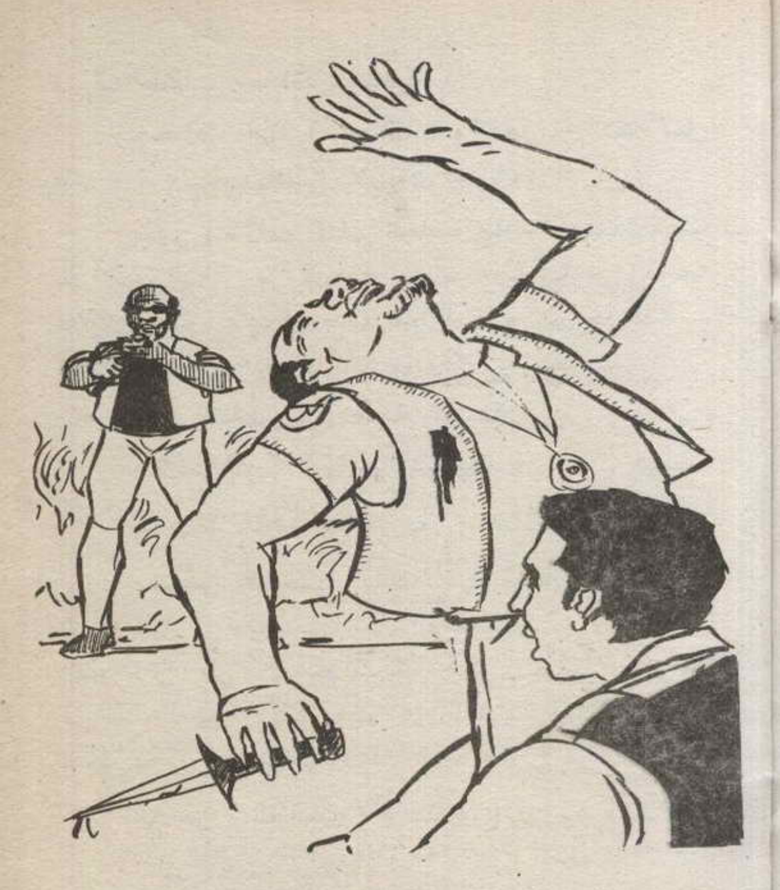
أجابه القناص في صراحة :

- إنني لا أمد يدي للسفاحين والمجرمين قط .. وقد كان من الضروري أن تدفع الثمن أيها الوحش السفاح .. فبعض إرهابييك ممن أرسلتهم للقيام بعمليات تخريبية في بلادنا سقطوا في أيدينا واعترفوا بما فعلته .. فكان لابد من منعك من العودة لحكم البلاد بأي ثمن .. فوغد قذر مثلك لا يستحق غير رصاص فرقة تنفيذ أحكام الإعدام في الخائنين .

جزّ (بوساكا) على أسنانه في عنف بالغ وغمغم يقول :

- ياللجنون .. لا أكاد أصدق أن شخصاً وحيداً قد فعل بي كل ذلك .. وأحال انتصاري إلى هزيمة .. ولكنني سأنتقم لنفسي .. سأنتقم ..

واستل (بوساكا) خنجراً آخر من نطاقه ورفعه عالياً .. وقبل أن يطوح به نحو صدر (مراد) دوي



جحظت عينا (بوساكا) وانفجرت الدماء من ظهره .. وتهاوى على الأرض دون حراك .

صوت طلقات رصاص متتالية ..

وجحظت عينا (بوساكا) وانفجرت الدماء من ظهره .. وتهاوى على الأرض دون حراك ..

وظهر (سامبو) في الخلف حاملاً مدفعاً رشاشاً يتراقص الدخان من فوهته .. وغمغم (سامبو) بوجه محتقن : كان لابد أن يدفع هذا السفاح ثمن جرائمه .. وكان لابد من الثأر لابنتي .. ولكل ضحاياه .

غمغم القناص في دهشة وفرحة :

– أنت لاتزال حيا أيها الرفيق ؟

اقترب (سامبو) وهو يعرج قائلاً :

– لحسن الحظ أن التقطتنى إحدى الدوريات الحكومية .. ونقلتني إلى المستشفي .. وقبل هذا الهجوم زارني قائد القوات مرة أخرى طالباً أن أرافقه في هذه المهمة لأنني خبير في الغابات فوافقته .. فقد جئت أسعى لوضع نهاية ذلك السفاح .. وهو ما فعلته .

احتضن (القناص) (سامبو) في ودٍ قائلاً :

– لقد أنقذت حياتي .

أشرق وجه (سامبو) وغمغم في إعجاب حار :

– ما أحسب أنك كنت عاجزاً عن الدفاع عن نفسك

أبداً .. فأنت رجل لامثيل له أبداً .. بطل حقيقي في زمن ندر فيه الأبطال .

اقترب قائد القوات الحكومية قائلاً : أنت على حق فيما قلته أيها الصديق .

كانت أصوات طلقات الرصاص والانفجارات قد خفت ، وهو ماكان يعني هزيمة أعوان (بوساكا) واستسلامهم ، ومدّ قائد القوات المهاجمة يده مصافحاً (مراد) وهو يقول له : إن بلادنا لن تنسى لك هذا الصنيع أبداً .. فبفضل شجاعتك وجرأتك وذكاءك الفذ أمكن القضاء على ذلك الوحش (بوساكا) وزمرة رجاله من المرتزقة .. ليتوقف نهر الدماء في بلادنا من الجريان .. وليعود الأمن والطمأنينة لها .

شاعت ابتسامة رقيقة على وجه القناص وهو يقول : إنني سعيد بأنني قدمت بعض خدماتي لدولة أفريقية صديقة فتية .. أرجو أن تصير في طليعة الدول بإذن الله .

فرك القائد كفيه في ابتهاج قائلاً : هذا ماسيصير بإذن الله .. والآن أيها البطل لقد صارت غابات بلادنا آمنة .. ويمكنك القيام بتلك الرحلة داخلها ، دون خشية من أي أخطار و ..

قاطعه القناص قائلاً : لم يعد هناك ما يجتذبني إلى غاباتكم ياعزيزي .. فالأماكن الآمنة لاتثير لديّ الرغبة في اقتحامها أو البقاء فيها أبداً .

واطلق القناص ضحكة مرحة عالية ..

وسرعان ماكان كل من حوله يشاركونه ضحكته ..

ضحكة النصر .



المهمة القادمة

عملية « أبو الهول »



ت : ٩٣٢٧٠٦



القناص المحترف

السفاح

- فى قلب أفريقيا وفى قلب الغابات .. كان على القناص أن يخوض تلك المهمة .. ليواجه عدوًا مزدوجًا .. الحيوانات المتوحشة .. والامبراطور السفاح (بوساكا) .. وهو بلا سلاح ضد مئات المرتزقة ؟

- تُرى لماذا انطلق القناص فى تلك المهمة .. وكيف أمكنه النجاة من جحيم الامبراطور .. وجنوده من المرتزقة فى قلب الغابات الوحشية ؟



القاهرة : ١٠ شارع بستان الدكة من ش الألفى (مطابع سجل العرب) ت : ٩٣٢٧٠٦ - ص.ب : ١٣١٥ العتبة ١١٥١١
الجيزة : ١ شارع سوهاج من شارع الزقازيق - خلف قاعة سيد درويش بالهرم